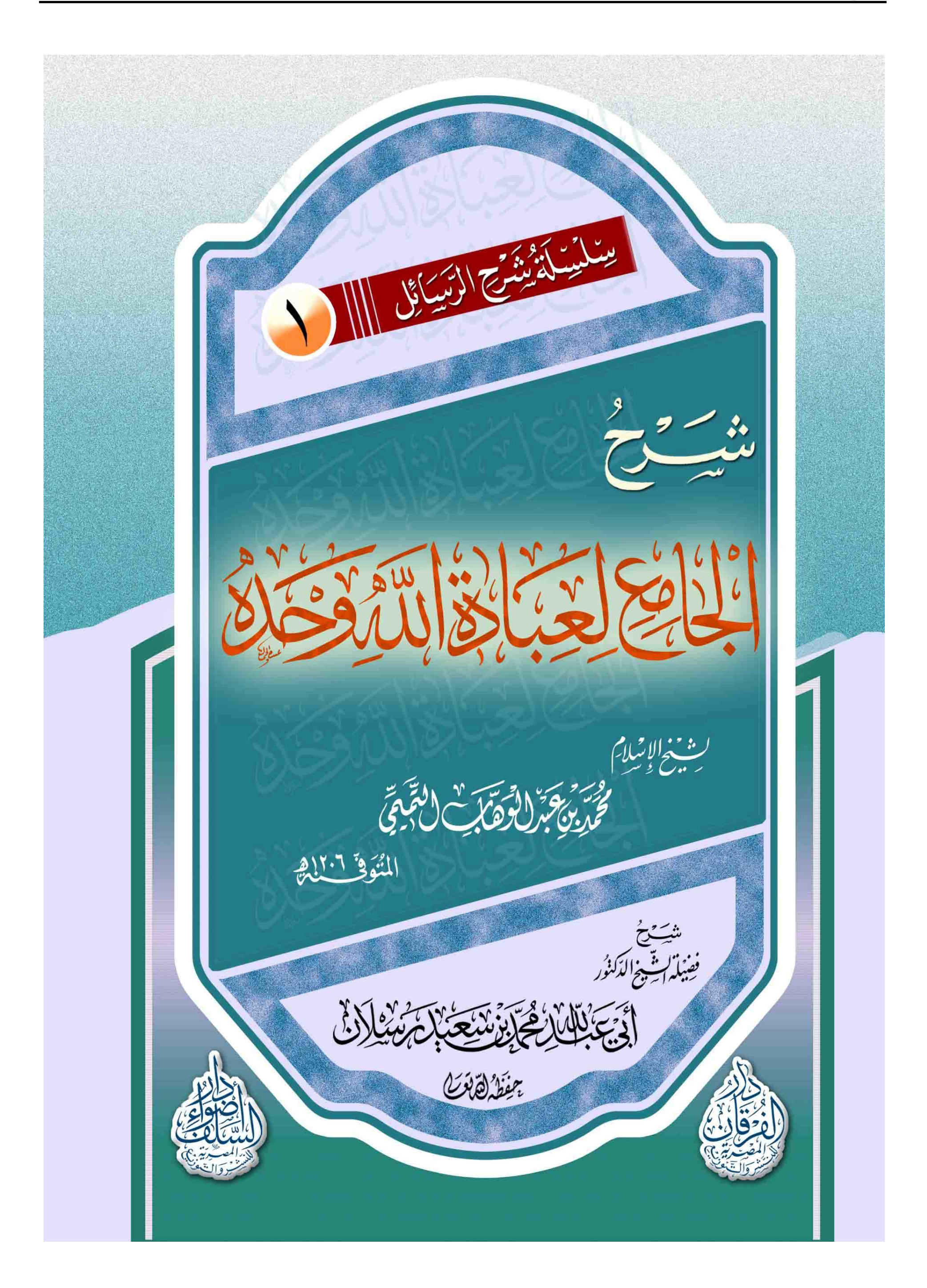
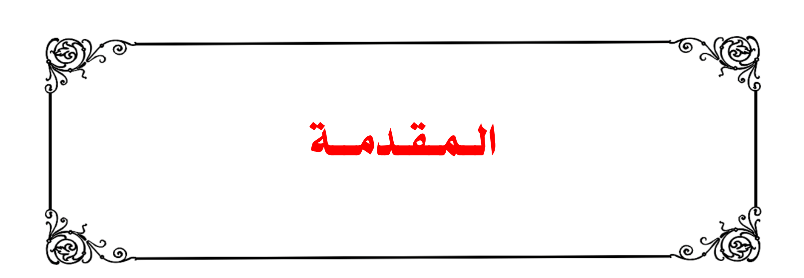

سلسلة شرح الرسائل
١
شرح
الجامع لعبادة الله وحده
لشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب التميمي
المتوفى سنة ١٢٠٦هـ
شرح
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى
دار أضواء السلف
دار الفرقان



الـمـقـدمــة

إِنَّ الـحَمدَ للَّـهِ، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللَّـهِ مِنْ شُرُورِ أنفسِنَا وَمِن سيئاتِ أعمالنَا، مَنْ يهدِهِ اللَّه فَلَا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ لَهُ، وأشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ، وأشهد أنَّ مُـحمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ: فَإنَّ أَصدقَ الْـحَديثِ كتابُ اللَّهِ، وخيرَ الْـهَدي هديُ مُـحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُـحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُـحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بَعدُ:

ففي هذهِ الـمُناسبةِ الطيبةِ[(١)] التي أكرمَنَا الله -تَبَارك وتَعَالَىٰ- بها سنتدارَسُ بحَولِ اللَّهِ وقوتِهِ رسالةَ «**الْـجَـامِعُ لعبادَةِ اللَّه وحدَهُ**»، للإمامِ شيخِ الإسلَامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ سُليمانَ بنِ عَلِيِّ بنِ محمدِ بن أحمدَ بنِ راشِدٍ التميميِّ، المتوفَّىٰ سنةَ سِتٍّ ومِئتينِ وألفٍ، وهي رسَالةٌ -عَلَىٰ وَجازتِهَا- جامِعةٌ لِأُصُولٍ مِن التَّوْحِيدِ تَقُومُ الدِّيَانَةُ عَلَيْهَا، وَتَرْجِعُ الْـمِلَّةُ إِلَيْهَا.

وفي هَذَا العَصْرِ الَّذِي مَاجَت في الدُّنْيَا بِالبِدَعِ مَوْجًا، وَانْصَرَفَ فِيْهِ كَثِيرٌ مِن النَّاسِ عَن حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ فَوجًا فَوجًا، تَدْعُو الْـحَاجَةُ إِلَىٰ مُدَارَسَةِ رَسَائِلِ التَّوْحِيدِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِّ الْعَزِيزِ الْـحَمِيدِ عَلَىٰ العَبِيدِ.

وفي خدمَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وتَقْرِيبِ مَعَانِيهَا، وتَـمْهِيدِ السَّبِيلِ للنَظَرِ فِيهَا، وَمَعرِفَةِ مَرَامِيهَا؛ قِيَامٌ بِبعضِ الْـحَقِّ الْوَاجِبِ فِي بَيَانِ الْـحَقِّ الْوَاجبِ للَّـهِ تعالىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَحَقُّه تَعَالَىٰ عَلَيهِم: أَنْ يَعْبُدُوه وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

وَأَسْأَلُ الله تَعَالَىٰ بِأَسْمَـائِهِ الْـحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْـمُثلَىٰ، أَنْ يَـجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجهِهِ الْكَرِيم، مُقَرِّبًا لِـمَرْضَاتِهِ وَهُو الرَّحْـمَـنُ الرَّحِيْم.

(١) يوم الثالث عشر من ربيع الآخر لعام تسع وعشرين وأربعمئة وألف من هجرة نبينا محمد ﷺ، الموافق للتاسع عشر من الشهر الرابع لعام ثمانية وألفين من ميلاد المسيح عيسىٰ بن مريم -عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم-.
وذلك بمسجد التوحيد بدار السلام، من أعمال محافظة القاهرة بمصر -حرسها الله وسائر بلاد المسلمين-.

وَأَنْ يَـجزِيَ خَيرًا كُلَّ مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ طَبْعِهِ وَنَشْرِهِ، وَإِذَاعَتِهِ وَبَثِّهِ، وَكُلَّ مَن نَظَرَ فِيْهِ وَدَلَّ عَلَيْهِ؛ إِنَّه عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِير.

وكتب

أبو عبد الله

محمد بن سعيد بن رسلان

سبك الأحد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ:

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَىٰ-:

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّه وَحْدَهُ؟

قُلْتُ: طَاعَتُهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا للَّهِ تَعَالَىٰ؟

قُلْتُ: مِنْ أَنْوَاعِهَا: الدُّعَاءُ.

وَالاسْتِعَانَةُ.

وَالاسْتِغَاثَةُ.

وَذَبْحُ القُرْبَانِ.

وَالنَّذْرُ.

وَالْـخَـوْفُ.

وَالرَّجَاءُ.

وَالتَّوَكُّلُ.

وَالإِنَابَةُ.

وَالْـمَحَبَّةُ.

وَالْـخَشْيَةُ.

وَالرَّغْبَةُ.

وَالرَّهْبَةُ.

وَالتَّأَلُّهُ.

وَالرُّكُوعُ.

وَالسُّجُودُ.

وَالْـخُشُوعُ.

وَالتَّذَلُّلُ.

وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الإِلَـهِـيَّةِ.

وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَـىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَـىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَـىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤].

وَدَلِيلُ الْمَحَبَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيلُ التَّأَلُّهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧].

وَدَلِيلُ الْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ ﴾ [آل عمران:١٩٩] وَنَحْوُهَا، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّـهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّـهِ غَيْرَهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَجَلُّ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّـهُ بِهِ؟

قِيلَ: تَوْحِيدُهُ بِالعِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَأَعْظَمُ نَهْيٍ نَهَىٰ اللَّـهُ عَنْهُ: الشِّرْكُ بِهِ، وَهُوَ: أَنْ يَدْعُوَ مَعَ اللَّـهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّـهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَـهًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللَّـهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِن أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي نَهَىٰ اللَّـهُ عَنْهُ، وَأَنْكَرَهُ عَلَىٰ الْـمُشْرِكِينَ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن

يَشَآءُ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وَاللَّه أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [١]

[١] ابتدَأَ المصنِّفُ -رَحمهُ اللَّه تعَالىٰ- رسَالَتَهُ بالبَسملةِ اقتدِاءً بكتابِ اللَّه تعَالىٰ، فهُوَ مَبدوءٌ بالبسملَةِ، واقتدِاءً برَسولِ اللَّه ﷺ، فإنهُ كانَ يبدَأُ كُتبَهُ بالبَسملَةِ، كَما في صَحيحِ البُخارِيِّ في كتابِ بَدءِ الوَحْي: «**بِسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ، مِن محمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ورَسولِهِ إلىٰ هِرَقْلَ عَظيمِ الرُّومِ**...» الحَدِيثَ، وأخرَجهُ مُسلمٌ أيضًا في صَحيحهِ.

وأمَّا حَديثُ: «**كُلُّ أمرٍ ذِي بَالٍ لا يُبدَأُ فِيهِ بـ: بِاسمِ اللَّهِ؛ فهُو أبتَرُ**»[(١)]. فهوَ ضعيفٌ جدًّا.

فابتدَأَ المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسَالتَهُ بالبسمَلةِ اقتدِاءً بكتابِ اللَّه وتَسَنُّنًا بسُنةِ رسولِ اللَّه ﷺ.

والجارُّ وَالمجرُورُ في «**بِاسمِ اللَّه**»، متعلِّقٌ بمَحذُوفٍ فعلٍ مؤخَّرٍ مُناسبٍ للمَقامِ تقديرُهُ: باسِمِ اللَّهِ أكتبُ، أو: بِاسمِ اللَّهِ أُصنِّفُ، ونَحنُ نتكلَّمُ في هَذَا الآنَ بحَولِ اللَّه وقُوَّتِهِ لأنَّ كلَّ مُسلمٍ يحتاجُ هذَا عندَ بدئِهِ بالبسملَةِ العَظيمةِ؛ فيدرِي مَا يقولُ، ويَنوِي مَا يأتي بهِ.

الجارُّ والمجرُورُ متعلقٌ بمَحذوفٍ فعلٍ مؤخرٍ مناسبٍ للمقامِ تقديرُهُ هنَا =

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني في إرواء الغليل (١): ضعيف جدًّا.

....

= في الرسالَةِ «باسمِ اللَّهِ أبدأُ»، أو «باسمِ اللَّهِ أصنِّفُ»، وقُدِّرَ فِعلًا لأنَّ الأصلَ في العَملِ الأفعالُ لَا الأَسْمَاءُ، وقُدِّرَ مُؤخرًا مَعَ أَنَّ القَاعِدَةَ أنَّ مُتَعلَّقَ الْـجَارِّ وَالْـمَجرُورِ يُقَدَّرُ مُقَدَّمًا لفائدَتينِ:

الأولَىٰ: للتبرُّكِ بالبُدَاءَةِ باسْمِ اللَّـهِ ﷻ.

والثانيةُ: لإفادَةِ الـحَصرِ؛ لأنَّ تقديمَ ما حقُّهُ التأخيرُ يفيدُ الـحَصرَ ويُفيدُ القَصرَ.

وقُدِّرَ مُناسبًا أو خاصًّا لأنه أدلُّ علىٰ المرادِ، فلو قلنَا مثلاً عندمَا نريدُ أن نقرأَ كتَابًا: «باسمِ اللَّهِ نبتدِئ»، ما يُدرَىٰ حينئذٍ بماذا نَبتدِئُ، ولكنْ «باسمِ اللَّهِ أقرأُ» يَكُون أَدَلَّ عَلَىٰ المرَادِ الَّذِي نَبْتَدِئ بِهِ، فَقُدِّرَ خاصًّا مناسبًا للمقام، فعندَ الشُّربِ «باسمِ اللَّهِ أشربُ»، وعند الأكلِ «باسمِ اللَّه آكُلُ»، ليكونَ أدلَّ عَلىٰ المرادِ الَّذي ابتدِئَ بهِ.

«باسمِ اللَّـهِ»: اللَّـهُ: علَمٌ علىٰ الذاتِ المقدَّسةِ، معناهُ: ذُو الألوهيَّةِ والعبوديَّةِ عَلىٰ خَلقِهِ أجمعينَ، ومعناهُ: المألوهُ؛ أي: المعبودُ محبةً وتَذلُّلًا وتعظيمًا.

الرَّحْـمَـنُ: اسمٌ مِن أسماءِ اللَّهِ تعَالـىٰ المختصَّةِ بِهِ ﷻ لا يُطلقُ عَلىٰ غَيرِهِ ولا يُسمَّىٰ بِهِ سوَاهُ.

الرحمنُ: المتَّصفُ بالرحمةِ الواسِعةِ، وصيغَةُ (فَعْلان) تدلُّ عَلىٰ السَّعةِ وتدلُّ عَلىٰ الامتِلاءِ. فالرحمنُ: المتصفُ بالرحمةِ الواسِعةِ.

والرحِيمُ: يُطلقُ عَلىٰ اللَّهِ تعَالىٰ وعَلىٰ غَيرِه، ومعنَاهُ: ذُو الرحمةِ الوَاصِلةِ. =

الْـحَمْدُ للَّـهِ رَبِّ العَالَـمِـينَ[١]،.......................................

= فالرحمنُ: دَالٌّ علىٰ الصفَةِ القائمةِ بِهِ سُبحانهُ.

والرحيمُ: دَالٌّ عَلىٰ تعلُّقهَا بالمرحُومِ، ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ولَـم يَقُلْ: (وَكَانَ بِالْـمُؤْمِنِيَن رَحْـمَـنَ) فإذَن الرحمنُ دالٌّ عَلىٰ الصِّفَةِ القائمةِ بالذاتِ، والرحيمُ دَالٌّ علىٰ تعلقِهَا بالمرحُومِ، فالأولُ؛ «الرحمن»: للوصفِ، والثاني؛ «الرحيم»: للفعلِ، فَعُلِمَ أنَّ الرَّحمنَ هو الموصوفُ بالرحمةِ، وأنَّ الرحيمَ هو الراحمُ برحمتِهِ، فهذَا ما يتعلقُ بالبَسمَلةِ.

وَالبَاءُ في قَولِهِ: «**بِاسْمِ الله**»، للاستِعَانَةِ، وَالاستِعَانَةُ مُصَاحِبَةٌ للإِنسَانِ مِن أَوْلِ الفِعْلِ إِلـىٰ آخرِهِ، وَقَدْ تُفيدُ مَعْنًىٰ آخَرَ وَهُو التَّبرُّكُ، إِذَا لَـم نَحْمِلِ التَّبرُّكَ عَلَىٰ الاستِعَانَةِ، وَنَقُولُ كُلُّ مُسْتَعِينٍ بِشَيءٍ فَإِنَّه مُتبَرِّكٌ بِهِ، لَكِن لَا شَكَّ أنَّ البَاءَ تُفِيدُ البَرَكَةَ العَظِيمَةَ.

وَقَد اختَارَ الزَّمَخشَرِيُّ أنَّ البَاءَ للمُصَاحَبَةِ، وَهُو مُعتَزلِـيٌّ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَنصرَ مَذهبَهُ؛ والمعتزلةُ يَرَوْنَ استقلالَ الإنسَانِ بِعَمَلِهِ؛ فَإِذَا كَانَ مُستقلًّا بعَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَـحتَاجُ للاستعَانَةِ.

لَكِنْ لَا شَكَّ أنَّ البَاءَ للاستعَانَةِ الَّتِي تُصاحبُ الفعلَ كُلَّه.

[١] الحمدُ: هُو ثناءٌ باللسَانِ خاصةً علىٰ الجمِيلِ الاختيارِيِّ مِن نِعمةٍ وغَيرِهَا، وأمَّا الشُّكرُ: فهو البَذلُ في مُقابلِ النعمَةِ، فالحمدُ يكُونُ باللسَانِ خاصةً، وأما الشكرُ فيكونُ باللسَانِ والقَلبِ والجوارِحِ. =

= والحمدُ: ثَناءٌ في مُقابلِ النعَمِ وغَيرِهَا منَ الصفَاتِ الـحَسَنةِ كالعلمِ والقوةِ والـحُسْنِ، تقولُ: حَـمِدتُ لفلانٍ شجَاعتَهُ، ولا تقولُ: شَكرتُ له شَجَاعتهُ.

الشُّكرُ: لا يكونُ إلا في مُقابلِ النعَمِ الوَاصِلةِ. فبينَهُما عمومٌ وخُصوصٌ مُطلقَانِ.

فَالْـحَمدُ أَعَمُّ مِن الشُّكْرِ مِن حَيْث مَا يَقَعَانِ عَلَيهِ؛ لأَنَّهُ يَكُون عَلَىٰ الصِّفَاتِ اللازِمَةِ والمتعَدِّيَةِ، وهُو أَخَصُّ لأَنَّه لَا يَكُون إلَّا بالقَولِ.

والشُّكرُ أَعمُّ مِن حيث مَا يَقَعَان بِهِ؛ لأَنَّه يَكُون بالقَوْلِ والعَمَلِ والنِّيَّةِ.

وأَلِفُ الـحَمدِ: للاستغرَاقِ كمَا قالَ الجمهورُ؛ أي: لاستغراقِ جميعِ المحَامدِ؛ فالمحَامدُ كلُّهَا للَّهِ -جلَّ وعَلا-، وحقَّقَ بعضُهمْ كونَها صَالحةً للاستغراقِ وللعَهدِ أيضًا.

«الحمدُ للَّهِ ربِّ العالَـمين»:

الربُّ: هُوَ الذِي يُربِّي عبادَهُ جميعًا بنعَمهِ ويُغذيهم ويرزُقُهمْ ويخلُقُهم بعدَ أنْ لَـم يكونُوا شيئًا مَذكورًا، خلقَهُم في بُطونِ أمهاتِهم خَلقًا مِن بعدِ خَلقٍ في ظلماتٍ ثلاثٍ، وهُو الذي يُربِّي جميعَ العالمينَ بنعَمِهِ.

فَالرَّبُّ: هُوَ الْـمَالِكُ المتصرِّفُ، المنفردُ بالْـخَلْقِ والملكِ والتَّدْبِير، ويُطلق في اللغةِ عَلَىٰ السَّيدِ، وعَلَىٰ المتصرِّفِ للإصلاحِ، وكُلُّ ذَلِكَ صحيحٌ في حقِّ اللَّهِ تَعَالَىٰ. =

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ[١]:

= **العالَمِين:** جمعُ عالَم، والعالَمُونَ: مُلحقٌ بجمعِ المذكرِ السالِمِ، والعَالَمُ: كلُّ مَا سوَىٰ اللَّهِ، وسُمُّوا عالَمًا؛ لأنَّهم عَلَمٌ علىٰ خَالِقِهِم ومالِكِهم ومُدبِّرِهم، فَفِي كلِّ شيءٍ آيةٌ لله تدلُّ عَلىٰ أنهُ واحِدٌ.

فالعَالَمُ: كُلُّ مَوجُودٍ سِوَىٰ اللَّهِ ﷻ، والعَالَمُ جَمعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِن لفظِهِ، والعَوالِمُ أصنَافُ الْمَخلُوقَاتِ في السَّمَواتِ والأرضِ، وفي البَرِّ والبَحْرِ، وكُلُّ قَرْنٍ مِنهَا وجيلٍ يُسمَّىٰ عالَمًا أيضًا.

[١] الصلاةُ عَلىٰ النبيِّ ﷺ أصحُّ مَا قيلَ فيهَا: أنَّها منَ اللَّهِ تعَالىٰ: الثناءُ عَليهِ ﷺ في الملأ الأعلَىٰ؛ كَما ثبت ذلكَ في صحيحِ البخَاريِّ عن أبي العَاليةِ[(١)]، ومِنَ العِبَادِ: الصلاةُ عَلىٰ النبيِّ ﷺ، طلبُ الثناءِ عَليهِ ﷺ منَ الله -جلَّ وعَلا-.

وتبَارَكَ: هذَا لا يكونُ إلا لله -تَبَاركَ وتَعَالَىٰ- وأمَّا هاهُنَا «**صلَّىٰ اللَّه عليه وسلم وبارك**»، وبارَكَ: منَ البركَةِ، والبركةُ كثرةُ الخيرِ ونماؤُهُ.

وعَلَىٰ آلِهِ: الآلُ لَهَا إطلاقانِ: عامٌّ وخاصٌّ، العامُّ: هُم كلُّ تابعٍ بإحسَانٍ للنبيِّ ﷺ ويدخلُ فيهمُ الصحابةُ ﷺ دُخولاً أوَّليًّا، فَلو تبعناهُ ﷺ فنحنُ =

(١) أخرجه البخاري تعليقًا، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَىٰ-:

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّه وَحْدَهُ؟

قُلْتُ: طَاعَتُهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ[١].

= من آلِهِ عندَ الإطلاقِ العامِّ.

ولها إطلاقٌ خاصٌّ: وهوَ المرادُ هاهُنا، وهُم بنو هاشمٍ، وقيل: بنُو المطَّلبِ، فَإِذَا وَردَت مطلقةً: صلَّىٰ اللَّه عليه وآله؛ دَخلُ في آلِهِ كلُّ مَن تبعهُ بإحسَانٍ ﷺ.

«وعَلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ»: والصحبُ والصحابةُ والأصحابُ مُفردُها: صاحبٌ، وهُو كلُّ مَن لقيَ النبيَّ ﷺ مؤمنًا بِهِ وماتَ علىٰ ذَلك، وإن تخلَّلتهُ ردَّةٌ عَلىٰ الصحيحِ، كَمَا قرَّرَ ذلكَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «نُخبةِ الفِكرِ»؛ ولَو تخللتهُ ردةٌ عَلىٰ الصحيحِ، كطُليحةَ بنِ خُويلدٍ رضي الله عنه؛ فإنهُ كانَ قد تنبَّأ وأرادَ غزوَ مدينةِ النبيِّ ﷺ، ثمَّ أسلمَ بَعدُ وحَسُنَ إسلامُهُ وجاهدَ في سبيلِ اللَّه حتَّىٰ جاءَهُ اليقينُ في ساحَةِ الجهادِ في سَبيلِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، نسألُ اللَّه أن يَرضىٰ عنهُ وعَنِ الصحابةِ أجمعينَ.

[١] عبادةُ اللَّهِ وحدَهُ هيَ الغايةُ التِي لأجلِهَا خَلَقَنَا اللَّهُ تعَالىٰ، قالَ سُبحانهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، والعبادةُ كَما عرَّفَها شيخُ الإسلامِ -رحمهُ اللَّهُ تعَالىٰ- : هيَ كلُّ مَا يُحبهُ اللَّهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ البَاطنةِ والظاهِرةِ.

=

....

= وزادَ بعضُهُم قَيدًا فقالَ: والبَراءةُ مما يُنافي ذلكَ ويضادُّهُ؛ فكلُّ مَا يحبهُ اللَّـهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ عبادةٌ لله ربِّ العَالـمينَ.

فالصَّلَاةُ، والزَّكَاةُ، والصِّيَامُ، والْـحَجُّ، وصِدْقُ الْـحَديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وبِرُّ الوالدين، وصِلَةُ الرَّحمِ، والوفاءُ بالعهودِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، والْـجِهَادُ للكفَّارِ والمنافقين، والإحسانُ إلىٰ الْـجَارِ واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السَّبيلِ والمملوكِ من الآدميين والبهائمِ، والدعاءُ، والذِّكرُ، والقراءةُ، وأمثالُ ذلك من العبادةِ.

وكذلك حبُّ اللَّـهِ ورسولِهِ، وخشيةُ اللَّـهِ، والإِنَابَةُ إِلَيْه، وإخلَاصُ الدِّينِ لَهُ، والصبرُ لِـحُكمِهِ، والشكرُ لِنِعَمِهِ، والرِّضَا بقضائِهِ، والتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، والرَّجَاءُ لرحـمَتِهِ، والْـخَوفُ من عذابِهِ، وأمثالُ ذَلِكَ هي مِن العبادةِ للَّـهِ.

وعَليهِ؛ فالعبادةُ في دِينِنَا الـحَنيفِ تشمَلُ حركةَ الـحياةِ كلَّها، وتنتظمُ كلَّ شئونِ الـحَياةِ، والموَفَّقونَ الملهَمُونَ الفَالِـحونَ المفلِحونَ تتحولُ العَاداتُ عندَهم بالرعَايةِ والنظرِ والنيةِ إلىٰ عبادَاتٍ؛ وأمَّا المفرِّطونَ الذَّاهلونَ الغَافلونَ فإنَّهم تتحولُ عندَهمُ العبادَاتُ إلىٰ عاداتٍ، فيُصلِّي المرءُ منهُم ما شَاءَ ربُّنا أن يُصلِّي وكأَنَّهُ مَا صنعَ شَيئًا.

قالَ الشيخُ -رحمهُ اللَّـهُ تعَالىٰ- مُعَرِّفًا العبادَةَ بتعريفٍ جَامعٍ عظيمٍ: «**طَاعَتُهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيـهِ**». والعبَادةُ في الأصلِ مأخُوذةٌ من التعبُّدِ، يقالُ: طريقٌ مُعبَّدٌ؛ إذَا كانَ قَد ذلَّلتهُ الأقدامُ ووَطَّئتهُ؛ وكذَلكَ العابدُ معَ مَعبودِهِ يكونُ مُذلَّلاً بمُطلقِ الذلِّ في مُطلقِ الـحُبِّ وهي العبَادةُ. =

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا للَّهِ تَعَالَىٰ؟[١].

= ولـهَا قُطبَانِ عليهما تَدورُ؛ وهُـمَـا: كَمالُ الـحبِّ في كَمالِ الذلِّ، كما قالَ العلامةُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللَّه تعَالىٰ- في الكافِيةِ الشافِيةِ:

وعــبادةُ الــرَّحْـمَن غايــةُ حُــبِّـهِ ... مَــعْ ذُلِّ عَابِــدِهِ هُـمَـــا قُطــبَانِ

وعَلَـــيهِمَا فَلَـــكُ العــبَادَةِ دَائِـــرٌ ... مَــا دَارَ حتَّـــىٰ قامــتِ القُطــبَانِ

ومَـــدَارُهُ بِالأَمْـــرِ أَمْـــرِ رَسُــــولِهِ ... لا بِالْـهَــوَىٰ والـنَّفْسِ والـشَّيطَانِ

وَعَليهِما؛ أي: عَلىٰ الـحبِّ والذلِّ؛ فإنَّ العبادَةَ هيَ كَمالُ الـحبِّ في كَمَالِ الذُّلِّ؛ هيَ غايةُ الـحُبِّ معَ غَايةِ الذلِّ؛ فمَن أحبَّ شَيئًا ولَـم يذِلَّ لهُ لَـمْ يكُن لهُ عَابِدًا، ومَن ذلَّ لهُ ولَـم يحِبَّهُ لـم يكُن لهُ عَابدًا حتَّىٰ يجمعَ الأمرَينِ؛ فإذَا أتىٰ بالمحبةِ التامةِ الكاملَةِ والذلِّ الكاملِ التامِّ فهُو العابدُ حَقًّا.

لَـمَّـا ذكرَ الإمامُ ابنُ عبد الوهابِ -رحمهُ اللَّهُ تعَالىٰ- التعريفَ الجامعَ المختصرَ للعبادَةِ، أوردَ عَلىٰ نفسِهِ سُؤالاً في أنواعِ تلكَ العبَادَةِ، والعبَادَةُ أنواعٌ كثيرةٌ كمَا قال شَيخُ الإسلاَمِ ابنُ تيميةَ -رَحمه اللَّهُ تعَالىٰ-: هيَ اسمٌ جامعٌ لكلِّ مَا يحبهُ اللَّهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ البَاطنَةِ والظاهِرَةِ.

[١] أجابَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَن هذَا السؤالِ بذِكْرِ أنواعٍ منَ العبَادَاتِ الظَّاهرةِ والباطنَةِ، وهذِهِ العباداتُ -مِـمَّـا ذَكر وغيرُ ذلكَ مِـمَّـا لَـم يذكُرْ- لله وحدَهُ لا شريكَ لهُ؛ فلا يـحِلُّ صرفُهَا لغيرِ اللَّهِ تعَالىٰ، وقَد ذكَرَ الشيخُ -رَحمهُ اللَّه تعَالىٰ- أنوَاعًا من العِبَادَاتِ سَردًا ثُم أتبعَهَا بذِكْرِ أدلَّتِهَا.

قُلْتُ: مِنْ أَنْوَاعِهَا: الدُّعَاءُ[١].

---

[١] قالَ -رَحمهُ اللَّهُ تَعالىٰ-: «**قُلتُ: مِنْ أنواعِها: الدُّعَاءُ**»....

ثُمَّ قالَ: «**ودَليلُ الدُّعاءِ قَولُهُ تعَالىٰ:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]. **وَقولُهُ تعَالىٰ:** ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد:١٤]».

بَدَأَ الشيخُ -رَحمهُ اللَّهُ تعَالىٰ- بذِكرِ الدُّعَاءِ؛ لأنهُ أعظَمُ أنواعِ العبَادةِ؛ قالَ تعَالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ أي: أُجِبْ دُعَاءَكُم وأَعفُ عَنكُمْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر:٦٠]، يتعَظَّمونَ عَن إفرادِي بالعبادَةِ وحدِي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أذِلةً صَاغِرينَ.

وَقَالَ ﷺ: «**الدُّعَـاءُ هُـو العِبادَةُ**»(١). أخرجهُ الإمامُ أحمَدُ، والترمذيُّ، وابنُ حِبَّانَ، وهُو حديثٌ صَحيحٌ، وهُو أبلغُ بلاغةً مِن ذلكَ الضعيفِ الذِي لَم يصحَّ ولَم يثبُتْ عَن رَسولِ اللَّهِ، وهُو ما يُروىٰ عَنهُ ﷺ: «**الدُّعاءُ مخُّ العبَادةِ**»(٢)، فهذَا الصحيحُ يُغنِي. وضَميرُ الفَصلِ هاهُنا -بارزًا ظاهرًا- يدلُّ عَلىٰ هذَا الأمرِ الكبيرِ الذِي يعلمُهُ مَن لهُ أدنَىٰ تذوقٍ في هذِهِ اللغَةِ الشريفَةِ. =

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن حبان (موارد-٢٣٩٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣).

....

= «**الدعَاءُ هُو العبَادةُ**»، فَمَن دَعَا غيرَ اللَّهِ ربِّ العَالَـمينَ بشيءٍ لا يقدرُ عليهِ إلا اللَّهُ فهُوَ مشركٌ كافرٌ سَواءٌ كانَ المدعوُّ حَيًّا أو مَيتًا، ومَن دعَا حَيًّا بِمَا يقدرُ عليهِ، مثلُ: أن يقولَ: يَا فُلانُ أطعمْنِي، يَا فُلانُ اسقِنِي، فَلا شيءَ عَليهِ، ومَن دعَا ميتًا أو غائبًا بمثلِ هذَا فإنه مُشركٌ؛ لأنَّ الميتَ أو الغائبَ لا يُمكنُ أن يقُومَ بمِثلِ هذَا؛ فدعاؤُهُ إيَّاهُ يدلُّ عَلىٰ أنهُ يعتقدُ أنَّ لَهُ تصرُّفًا في الكونِ فيكونُ بذَلكَ مُشرِكًا.

قالَ تعَالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقالَ سُبحانهُ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤]، فكيفَ يُصرفُ الدعاءُ لغيرِ اللَّهِ منَ الأمواتِ والأشجارِ والأحجارِ والجنِّ والشياطينِ والغَائبينَ؟! كلُّ ذلكَ لا يجوزُ وكلُّ ذلكَ شِركٌ باللهِ ربِّ العَالَـمِينَ.

والدعَاءُ نوعَانِ:

دعَاءُ مَسألةٍ: وهُو دعَاؤه سُبحانَهُ بجَلبِ المنفعَةِ ودَفعِ المضَرَّةِ.

ودعاءُ عبَادَةٍ: وهُو دعَاءُ اللَّهِ تعالىٰ امتِثالاً لأمرِهِ.

فدعَاءُ المسألةِ: وهُو دُعاءُ الطَّلبِ، طلبِ الـحاجَاتِ منَ اللَّهِ ربِّ العالَـمينَ، هو عِبادةٌ إذا كَانَ مِنَ العبدِ لربِّهِ لأنهُ يتضمنُ الافتقارَ إلـىٰ اللَّهِ ربِّ العالَـمينَ واللُّجُوءَ إليهِ، ويتضمنُ اعتقادَ أنهُ قادرٌ كريمٌ وأنهُ واسعُ الفضلِ والرحمةِ، وَيَـجُوزُ إذَا صدَرَ مِنَ العبدِ لـمِثلِهِ منَ المخلوقِينَ إذَا كانَ المدعوُّ يعقلُ الدعاءَ ويقدِرُ عَلىٰ الإجَابةِ؛ فدُعاءُ الـحيِّ الـحَاضرِ القَادرِ والاستعانةُ بهِ في الشيءِ المقدورِ عليهِ لا بأسَ بِهِ ولا يُعتبرُ داخِلاً في الشِّركِ. =

= فلَو قُلتَ لأخيكَ الحَاضِرِ: يَا عبدَ اللَّهِ، أعنِّي عَلىٰ قَطعِ هذهِ الشجرةِ فلَا بأسَ بذلكَ، أفادَهُ العلَّامةُ ابنُ بازٍ -رَحمةُ اللَّهِ عَليهِ-؛ فهَذَا دعاءُ المسألَةِ.

وأمَّا دُعاءُ العِبَادَةِ: فأنْ يتعبَّدَ الداعِي بالدعاءِ للمدعوِّ طَلَبًا لثوابِهِ وخوفًا مِن عقابِهِ، وهذَا لا يصِحُّ إلا لله ربِّ العالمينَ، وَصَرفُهُ لغيرِ اللَّهِ شِركٌ أكبرُ مُخرِجٌ عنِ الملَّةِ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمهُ اللَّهُ تعَالىٰ-: «**وكُلُّ دُعَاءِ عبادةٍ مُسْتلزمٌ لِدُعَاءِ المسألَةِ، وكُلُّ دُعَاءِ مَسْألَةٍ مُتضمنٌ لِدُعَاءِ العِبَادَةِ**».

وذكَرَ الشيخُ المصنِّفُ -رَحمهُ اللَّهُ تعَالىٰ- نَوعَينِ مِن أنوَاعِ العبَادَةِ فقَالَ: «**والاستِعَانَةُ والاستِغَاثَةُ**»، ثُمَّ ذَكَرَ دَليلَ كُلٍّ مِنهُما فقَال: «**ودَليلُ الاستِعَانَةِ قَولُهُ تعَالَىٰ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، **ودَليلُ الاستِغَاثَةِ قَولُهُ تعَالىٰ:** ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٩]».

وَالاسْتِعَانَةُ[١].

---

[١] **أمَّا الاستِعَانَةُ**: فَهِي نَوعٌ منَ العبادَةِ لله ربِّ العَالَمينَ لا يَنبغِي أن تُصرَفَ لغَيرِهِ -جلَّ وعَلا-، فالاستِعَانة: هيَ طَلبُ العَونِ، والسِّينُ والتَّاءُ للطَّلبِ.

والاستِعَانةُ أنواعٌ:

*** فالأولُ: الاستعانةُ باللـهِ:**

وهي المتضمنةُ لكمَالِ الذلِّ منَ العبدِ لربِّهِ وتفويضِ الأمرِ إليهِ واعتقادِ كفَايتهِ، وهذهِ لا تكونُ إلا لله تعَالى، ودَليلُها قولهُ -جلَّ وعَلا-: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

ومَا وجهُ الاختصاصِ هاهُنَا؟ وجهُ الاختصاصِ: تقديمُ المعمولِ «**إيَّاك**»، وتقديمُ مَا حَقُّهُ التأخيرُ هُو القصرُ والحصرُ الذِي يفيد الاختصَاصَ. ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، يعنِي لا نعبدُ إلا إيَّاكَ ولا نصرفُ العبادَةَ لِسواكَ.

وكَذلكَ الشأنُ في الاستعَانةِ؛ الاستعَانةُ التِي لا تكونُ إلا لله تتضمَّنُ ثلاثةَ أشياءَ:

- **الأولُ**: الخضوعُ والتذللُ لله.
- **والثَّاني**: الثقةُ باللـهِ تعَالى.
- **الثَّالثُ**: الاعتمَادُ عَلى اللَّـه سُبحانهُ.

=

....

= فهذهِ لا تكونُ إلا لله، فمَنِ استعانَ بغيرِ اللَّهِ مُـحقِّقًا هذهِ المعَاني فَقد أشركَ معَ اللَّه غيرَهُ.

* الثَّاني مِن أقسَامِ الاستعَانةِ: الاستعَانةُ بالمخلوقِ عَلىٰ أمرٍ يقدرُ عليهِ:

وهذهِ عَلىٰ حَسبِ الـمُستعانِ عَليه؛ فإن كَانتْ عَلىٰ برٍّ ومَعروفٍ فهي جَائزةٌ للمُستعينِ مَشروعةٌ للمُعينِ، وإن كانَت علَىٰ إثمٍ فهِي حرَامٌ علىٰ الـمُستعينِ وعَلىٰ الـمُعينِ، وإن كَانت عَلىٰ مُباحٍ فهِيَ جَائزةٌ للمُستعينِ والـمُعينِ، وقَد يُثابُ الـمُعين عَلىٰ ذَلك ثوابَ الإحسَانِ إلىٰ الغَيرِ.

* القسمُ الثالثُ مِن أقسَامِ الاستعَانةِ: الاستعانةُ بمخلوقٍ حيٍّ حَاضرٍ غيرِ قادرٍ:

فهذهِ لَغوٌ لا طائلَ تَـحتَهُ؛ كَما يقولُ الذِي يُعاني الغَرقَ لا يُـحسنُ السباحةَ لكَسيحٍ عاجزٍ عَلَىٰ البَرِّ: إنِّـي أستعيُن بكَ فأعنِّي حتَّىٰ لا أَغْرَقَ، فهـذَا لَغوٌ لَا طَائِلَ تَـحتَهُ.

* والرَّابعُ مِن أقسَامِ الاستِعَانَةِ: هيَ الاستعانةُ بالأموَاتِ مُطلقًا وبالأحيَاءِ عَلىٰ أمرٍ غَائبٍ لا يقدرُونَ عَلىٰ مُباشَرتهِ:

فهذَا شِركٌ، الاستعَانةُ بالأمواتِ مُطلقًا شِركٌ، والاستعَانةُ بالأحياءِ علىٰ أمرٍ غَائبٍ لا يقدرُونَ عَلىٰ مُباشَرتِهِ شِركٌ.

* الْـخَامسُ مِن أقسَامِها: الاستعانةُ بالأعمالِ والأحوالِ المحبوبةِ إلىٰ اللَّـهِ تَعَالىٰ:

=

....

= وهذهِ مشروعةٌ؛ لقولِهِ تعَالىٰ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]، فيستعينُ الإنسانُ بالأعمالِ وبالأحوالِ المحبوبةِ إلىٰ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، فهذِهِ مشروعةٌ قَد نُدِبَ إليهَا، وأُمِرَ بها.

النوعُ الأولُ: فيهِ قَولُ النبيِّ ﷺ: «**إذَا استعنتَ فاستعِنْ باللـهِ**»[(١)].

الاستعانةُ التِي لَا تكونُ إلا لله ولَا تكونُ إلا باللـهِ ينبغِي ألا تُصرَفَ إلا لله فإذَا صُرِفَت لغَيرِ اللَّهِ فَهي شِركٌ كَما مرَّ ذِكرُ ذَلكَ.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٣)، والترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

وَالاسْتِغَاثَةُ[١].

---

[١] **الاستغَاثةُ:** هيَ طَلَبُ الغَوثِ وهوَ الإنقاذُ مِنَ الشدةِ والهلاكِ؛ وهيَ أنواعٌ:

* **الأوَّلُ: الاستغَاثةُ باللـهِ ﷻ:** وهذهِ مِن أفضَلِ الأعمالِ ومِن أكملِ الأعمالِ، قالَ ربُّنا -جلَّ وعَلا- : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، أي: متتابعين.

* **والثَّاني: الاستغاثةُ بالأموَاتِ أو بِالإحيَاءِ غيرِ الـحَاضرينَ غيرِ القادِرينَ عَلىٰ الإغاثَةِ:** فهذَا شِركٌ؛ لأنَّهُ لا يفعلُهُ إلا مَن يعتقدُ أن لهؤلاءِ تصرُّفًا خَفيًّا في الكَونِ فيجعلُ لهم حَظًّا في الربوبيةِ؛ وَا أسفَاهُ!!

* **الثالثُ مِن أقسَامِ الاستِغَاثةِ: الاستغَاثةُ بالأحياءِ العَالِـمينَ القَادرينَ عَلىٰ الإغاثةِ:** فهذَا جائزٌ، كالاستعانةِ بهِم؛ قال تعَالىٰ كَما في قصةِ مُوسَىٰ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

* **الرابعُ مِن أنوَاعِ الاستِغاثةِ: الاستغاثةُ بحيٍّ غَير قادرٍ مِن غَيرِ أن يعتقدَ أنَّ لهُ قوةً خفِيةً:** كمَن يَستغيثُ بمَشلُولٍ لينقذَهُ منَ الغرقِ، فهذَا -كما مرَّ في الاستعانةِ- لَغوٌ وسُخريةٌ.

والفَرقُ بينَ الاستعَانةِ والاستغَاثةِ: أنَّ **الاستعانةَ**: هي طلبُ العَونِ علىٰ مَا ينفعُهُ، **والاستغَاثةُ**: طلبُ إزالةِ الشدةِ، والاثنتانِ تتطلَّبانِ كمالَ الافتقارِ إلىٰ اللّـهِ معَ اعتقادِ كفَايتِهِ -جلَّ وعَلا- .

وَذَبْحُ القُرْبَانِ[١].

---

[١] ثُمَّ ذَكرَ الإمامُ رَحِمَهُ اللَّهُ النوعَ الرابعَ مِن أنواعِ العبادَةِ التي ذَكرهَا فقالَ: «وذَبحُ القُربانِ» ... ثُمَّ ذَكرَ دَليلَهُ فقَالَ: «ودَليلُ الذَّبحِ قَولُه -جلَّ وعَلا-: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]».

فقَرَنَ سُبحَانَهُ النُّسُكَ -وهُو الذَّبحُ- بالصَّلاَةِ، والصلاةُ عبادةٌ فالنُّسكُ عبادَةٌ، والذَّبحُ: إزهاقُ الروحِ بإرَاقَةِ الدَّمِ عَلىٰ وَجهٍ مَخصُوصٍ.

والذبَائحُ أنواعٌ: مَشروعةٌ، ومُبَاحةٌ، ومُحرَّمةٌ.

* **فأمَّا الذبائحُ المشروعةُ:** فالضحايَا، والهدايَا، والنذورُ لله تعَالىٰ، والعقيقةُ، والولائمُ، والإكرامُ للضيفِ، وصدقةٌ لله تعَالىٰ، والفِديةُ فِي الـحجِّ والعُمرَةِ.

* **ومُباحةٌ:** كالذَّبائحِ للأكلِ، وكذبحِ الجزَّارِ للبَيعِ.

* **ومُحرَّمةٌ:** كالذبحِ للأصنَامِ، وكالذبحِ للجِنِّ، وكالذَّبحِ للقِبابِ والـمَشَاهِدِ والقُبُورِ، وكالذَّبحِ فِي حَفَلاتِ الزَّارِ، وللبِئرِ الجديدةِ قبلَ الشُّربِ مِن مَائهَا، وعندَ دُخولِ العَروسَينِ البيتَ مِن أجلِ الجنِّ لدَفعهِم؛ وهَذَا كلُّهُ شِركٌ أكبرُ.

ومِنَ الذَّبائحِ المحرَّمةِ: الذبحُ فِي مَكانٍ خَاصٍّ يُفضِّلُ الذابحُ الذَّبحَ فيهِ اعتقَادًا، وَكذلكَ الذبحُ لله تعَالىٰ عندَ القَبرِ وعندَ مكانٍ كانَ يُعبَد فيهِ غيرُ اللَّهِ؛ فكُلُّ هَذا ذَبحٌ مُحرَّمٌ.

=

وَالنَّذْرُ[١].

= والذبحُ الذِي يقَعُ عبَادَةً بأنْ يَقصِدَ بِهِ الذابحُ تعظيمَ المذبوحِ لَهُ والتذلُّلَ لهُ والتقرُّبَ إليهِ، هذَا لا يكونُ إلا لله تعَالىٰ عَلىٰ الوجهِ الذِي شَرَعهُ اللَّـهُ تعالىٰ، وصَرْفُ ذلكَ لغيرِ اللَّـهِ تعَالىٰ شِركٌ أكبرُ؛ فيَا لَيتَ قَومِي يَعلمُونَ!

قالَ تعَالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾.

وقالَ ﷺ كَما فِي الـحَديثِ الذِي أخرجهُ الإمامُ أحمدُ والإمامُ مُسلمٌ، قالَ ﷺ: «لَعَنَ اللَّـهُ مَن ذَبحَ لغيرِ اللَّـهِ»(١).

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الإمَامُ -رَحمهُ اللَّـهُ تعَالىٰ- مِن أنوَاعِ العبَادَاتِ: «النَّذر»، وذَكرَ دَليلهُ وقالَ: «ودَليلُ النَّذْرِ قولُه تعَالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]».

والنَّذرُ: هُو أن يُلزِمَ الإنسَانُ نفسَهُ شَيئًا غَيرَ لازمٍ بأصلِ الشَّرعِ؛ فيُلزمُ نفسَهُ بصدَقةٍ أو بصيامٍ أو بصلاةٍ أو غيرِ ذلكَ، إمَّا بتعليقِ ذلكَ بشيءٍ، وإمَّا أن يكونَ ابتداءً، والجمهورُ عَلىٰ أنهُ مكروهٌ، وقالَت طَائفةٌ بتحريمِهِ، ولكن إنْ وقَعَ وجَبَ الوفاءُ بِه.

قَالَ ﷺ وَقَد نَهىٰ عنِ النذرِ: «إنَّهُ لَا يأتي بخَيرٍ، وإنما يُستخرَجُ بِهِ منَ =

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (١/ ١٠٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

= **البَخيلِ»**[(١)]. أخرجَهُ البخاريُّ ومُسلمٌ، وأبو دَاودَ، والنسائيُّ، وابنُ مَاجَه.

ومعَ ذَلكَ فإنْ نَذَرَ الإنسَانُ طاعةً لله وَجبَ عَليهِ فعلُهَا؛ قالَ ﷺ: «**مَن نَذَرَ أن يطيعَ اللّه فليُطعهُ»**[(٢)]. أخرجهُ البخاريُّ وأبُو داودَ والنسَائيُّ والترمذيُّ وابنُ ماجَه.

والنذرُ عبادةٌ فيجبُ إخلاصُها لله ربِّ العالَـمينَ كسَائرِ ألوانِ العبَاداتِ؛ فمَن نَذَرَ لغيرِ اللّهِ كالأموَاتِ والقُبورِ والأضرِحةِ فقَد أشركَ، وهذَا نَذْرٌ لا يَـجوزُ الوفاءُ بهِ، مَن نذَرَ لغَيرِ اللّهِ، مَن نَذَرَ نَذْرًا لا يَـجوزُ؛ لا يَـجبُ عليهِ أن يَفيَ بنذرِهِ؛ قالَ ﷺ: «**من نذر أن يعصيَ اللّهَ فَلا يعصِهِ»**[(٣)]. فمَنْ نَذَرَ للقُبورِ أو للأَضرِحَةِ فهذَا نَذرُ مَعصيةٍ وشِركٍ؛ فَلا يَـجُوزُ الوفاءُ بهِ، أمَّا مَن نذَرَ لله فإنهُ يـجبُ الوفاءُ بهِ؛ لأنهُ عبادَةٌ لله رَبِّ العَالَـمينَ.

وشروطُ النذرِ ستةٌ؛ هيَ:

١- أن يكونَ لله لا لِغيرِهِ.

٢- وأن يكونَ في طاعَةِ اللّهِ لا في مَعصيتهِ.

٣- وأن يكونَ مِـمَّـا يُطيقُهُ الإنسَانُ لا فِيما لا يُطيقُهُ. =

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩)، وأبو داود (٣٢٨٧)، والنسائي (٧/ ١٥-١٦)، وابن ماجه (٢١٢٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) وأبو داود (٣٢٨٩)، والنسائي (٧/ ١٧)، والترمذي (١٥٢٦)، وابن ماجه (٢١٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) التخريج السابق نفسه.

وَالْـخَـوْفُ[١].

= ٤- وأنْ يكونَ فيمَا يملكُهُ لا فيمَا لا يملكُهُ؛ كأنْ يقولَ: لئِنْ مَنَّ اللَّهُ عليَّ بكذَا وكذَا -مِن أُمورِ الْـخَيرِ- لأتصدَّقنَّ بمِلكِ أخِي جميعًا؛ فهذَا لا يجوزُ؛ إذْ مِن شُروطِ النذرِ: أن يكُونَ فيما يملِكُهُ لا فيمَا لا يملكُهُ.

٥- وألا يكُونَ في مَوضعٍ كانَ يُعبَدُ فيهِ غيرُ اللَّهِ، أو ذَريعةً لعبَادَةِ غيرِ اللَّهِ.

٦- أن يكُونَ الناذِرُ علَىٰ يقينٍ أنَّ ذَلكَ لا يُؤثِّرُ شَيئًا في حصولِ مَا نذَرَ لأجلِهِ، ألَّا يعتقدَ تأثيرَ النذرِ في حُصولِ ما نذرَ من أجلِهِ، بل يجعلُ الأمرَ كلَّهُ لله، وأنَّ اللَّهَ -جلَّت قُدرتُهُ- علَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، مَا شاءَ اللَّهُ كانَ وما لَـم يشَأْ لَـم يكُنْ، يفعلُ ما يشَاءُ ويَقضِي بمَا يُريدُ.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ الإمامُ رَحِمَهُ اللَّهُ النوعَ السادِسَ مِن أنوَاعِ العبادَةِ فقَالَ: «**وَالخوفُ**»، ثُمَّ ذكَرَ دَليلَهُ فقَالَ: «**وَدَليلُ الخوفِ قَولُهُ تَعالَىٰ**: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]».

الخوفُ مِن عبادَاتِ القُلوبِ، وهُو انفِعَالٌ يَـحصُلُ بتوقُّعِ مَا فيهِ هَلاكٌ أو ضَررٌ أو أذًىٰ، والـمُرادُ: الخوفُ الذي هُو عبادَةٌ؛ وهُوَ الخوفُ الذِي يكُونُ معَهُ تَعظيمٌ ومحبةٌ للمَخُوفِ؛ وَهُوَ خَوفُ السِّرِّ، وهُو لا يجوزُ إلا لله تَعَالىٰ؛ فخَوفُ العبادَةِ أنْ يَخَافَ أحَدًا يتعبَّد بِالخوفِ لَهُ؛ فَهَذَا لا يكُونُ إلا للَّهِ، وصَرفُهُ لِغيرِ اللَّهِ تَعَالىٰ شِركٌ أكبَرُ.

=

....

= **وخَوفُ السِّرِّ**: كَأن يَخَافَ صَاحِبَ قَبرٍ أو وَليًّا بَعِيدًا عنهُ لا يُؤثِّرُ فِيهِ وَلَكنْ يَخافُهُ مَخَافَةَ سِرٍّ؛ فَهَذا أيضًا ذَكَرهُ العلماءُ وأنهُ شِركٌ؛ فَالذِينَ يقُولونَ: فُلانٌ وَتِدُ الناحِيةِ، فُلانٌ مِنَ الأوتَادِ، وهُو وَتِدُ هذِهِ الناحِيَةِ؛ فيَبِيتُ الرَّجُلُ عَلَىٰ الذَّنبِ لا يُبالي؛ يَتهتَّكُ، فَإذَا مَرَّ عَلَيهِ مُصْبِحًا وَقَدْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ عِندَ الجهلاءِ شُروطُ الوِلاَيَةِ؛ فنَزَلَ مُخاطُهُ حتَّىٰ كسَا لِحيَتَهُ! ثُمَّ أحدَثَ عَلَىٰ نَفسهِ قُبُلاً ودُبُرًا! وهُو لا يَعِي ولا يَدرِي وَلا يُدرِكُ! فإذَا مرَّ بِهِ خَافهُ في سِرِّهِ؛ أنهُ مُطَّلِعٌ عَليهِ، أو أنهُ سيُكاشفُهُ بمَا كانَ منهُ في لَيلتِهِ؛ فهَذَا شِركٌ، وهَذَا لله وَحدَهُ هُو عالِمُ الغَيبِ وهُو عَالِمُ الشَّهادَةِ ﷻ.

وأمَّا الخوفُ الطَّبْعِيُّ: كَخوفِ الإنسَانِ منَ السَّبُعِ، وَمنَ النارِ، وَمنَ الحَيَّةِ، وَمنَ الغَرقِ؛ فهذَا لا يُلامُ عَليهِ العَبدُ؛ قَالَ تَعالَىٰ عَن مُوسَىٰ -عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ-: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨].

وَأمَّا إذَا خَافَ مِن إنسانٍ غَيرِهِ فَترَكَ واجبًا أوِ ارتكَبَ مُحرَّمًا خَوفًا منهُ، ولَم يصِلْ إلىٰ حدِّ الإكرَاهِ؛ لأنهُ لَو أُكرِهَ فَلا شَيءَ عَليهِ ولكِنْ لَم يصِلْ إلىٰ حَدِّ الإكرَاهِ؛ فهَذَا الخوفُ مَعصيةٌ؛ قَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أي: يُخَوِّفُكُم أولِياءَهُ ويُخَوِّفُكُم بأولِيَائِهِ، فاضبطْ مَعنَىٰ الآيةِ، لاَ يُخَوِّفُ أوليَاءَهُ، يعنِي: لَا يُوقِعُ الخوفَ عَلىٰ أوليائِهِ؛ وإنَّما يُخوِّفُكُم مِن أولِيَائِهِ ويُخوِّفكُم بِأولِيَائِهِ ويُعظِّمُهم في صُدُورِكُم ويُكبِّرهُم في أعيُنِكُم؛ فأمَرَنَا ربُّنَا -تَبَاركَ وتَعَالَىٰ- بِالتِي هِي أحسَنُ ونَهانَا عَن السُّوأَىٰ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فذَكرَ أنَّ الخوفَ شَرطٌ لصِحَّةِ الإيمَانِ ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. =

....

= والخوفُ منَ اللَّهِ تعَالىٰ يكونُ محمودًا وغيرَ محمودٍ؛ تأمَّلْ! الخوفُ منَ اللَّهِ تعَالىٰ يكونُ محمودًا ويكونُ غيرَ محمودٍ! يكُون محمودًا إذَا مَا كانتِ الغايَةُ أن يَحول بينَكَ وبَينَ مَعصيةِ اللَّهِ بِحيثُ يحمِلُكَ عَلىٰ فِعلِ الوَاجباتِ وتَركِ المحرَّماتِ؛ فإذَا حصَلتْ هذِهِ الغَايةُ سَكنَ القلبُ واطمَأنَّ الفؤادُ وغَلبَ عَليهِ الفرحُ بنعمَةِ اللَّهِ والرَّجاءُ لثوابِهِ تعَالىٰ.

وأمَّا الخوفُ منَ اللَّهِ خَوفًا غيرَ محمودٍ فهُو الذِي يحمِلُ العَبدَ عَلىٰ اليأسِ مِن رَحمةِ اللَّهِ والقُنوطِ مِن رَوحِ اللَّهِ، وحِينئِذٍ يتَمادَىٰ بِقوَّةٍ يأسِهِ في المعصِيةِ؛ فهَذَا لا يَأتي بِهِ مُسلمٌ؛ لا ييأسُ مِن رَوحِ اللَّهِ مُسلم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]؛ لا ييأسُ مِن عطَاءِ اللَّهِ وفَرَجِ اللَّهِ مُسلمٌ؛ فالخوفُ المنتِجُ لا الخوفُ الْمُـدمِّرُ هوَ المحمُودُ وهُو المطلُوبُ وهُو عِبادَةُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

فاجتهِدْ في تَـحـريرِ خَوفكَ وتأمَّلْ فِيهِ: أطَبْعيٌّ هُو أم شَرعيٌّ؟ فَإن كانَ شَرعيًّا فَحرِّرْهُ؛ أشِركٌ هُو أم مَعصيةٌ؟ فحرِّرْهُ وأَخلِصْ مُتوكِّلاً عَلىٰ اللَّهِ، وأمَّا إن كَانَ خَوفًا وراثيًّا طَبْعيًّا فإنَّهُ لا شيءَ فيهِ واسألْ ربَّكَ العافيةَ وتوكَّلْ عَليهِ، واعلَمْ أنَّكَ إذَا غُلِبْتَ فَليسَ لأنَّ العدوَّ قد غَلبَ؛ ولَكنْ لأنَّ النصيرَ قَد تَولَّىٰ، إذَا غُلبتَ فاعلَم أنكَ لَـم تُغلبْ لأنَّ العدوَّ قَد ظهرَ عَليك وغَلبَك؛ ولَكنْ لأنَّ الوليَّ أَعْرَضَ عنكَ ولَـم يتولَّكَ؛ فافزَعْ إليهِ.

قال شيخ الإسلام في «الفتاوىٰ» (١/ ٥٤-٥٥): «الإِنسَانُ إذَا لَـمْ يَـخَفْ مِن اللَّـهِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَاسِيَّـمَـا إذَا كَانَ طَالِبًا مَا لَـمْ يَـحْصُلْ لَهُ، فَإِنَّ نَفْسَهُ تَبْقَىٰ =



وَالرَّجَاءُ[١].

= طَالِبَةً لِـمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِهِ الْغَمَّ، وَالْـحُزْنَ عَنْهَا، وَلَيْسَ عِنْدَهَا مِنْ ذِكْرِ الله وَعِبَادَتِهِ مَا تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَبِهِ؛ فَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْـمُحَرَّمَاتِ مِنْ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ، وَشُرْبِ الْـمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلِ الزُّورِ».

[١] ثُمَّ ذكَرَ الإمامُ -رَحمهُ اللَّه تَعَالَىٰ- النَّوعَ السابعَ مِن أنواعِ العبادَةِ فقَالَ: «والرَّجَاءُ»، وذكَرَ دَليلَهُ فقَالَ: «وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]».

والرَّجَاءُ: طَمَعُ الإنسَانِ في أمرٍ قريبِ الـمَنَالِ، وقَد يكونُ بعيدَ المنالِ تَنزيلاً لَهُ مَنزِلَةَ القَريبِ، الرجاءُ المتضمنُ للذلِّ والخضُوعِ لا يكُونُ إلا لله، لَا يكونُ لغيرِ اللَّهِ ربِّ العَالَمينَ؛ فإنْ كانَ الرجاءُ الذِي تضمَّنَ الذلَّ والخضوعَ مصروفًا لغيرِ اللَّهِ كانَ شركًا: إمَّا أصغرَ وإمَّا أكبرَ؛ بِحسبِ مَا يقومُ بقَلبِ الراجِي، وتَأميلُ الْـخَيرِ فيما لا يقدِرُ عليهِ إلا اللَّهُ لا يَـجُوزُ، لا يَـجُوزُ أنْ يُرجَىٰ إلا الله -جلَّ وعَلا- فِيما لا يقدِرُ عَليهِ إلا اللَّهُ -جلَّ وعَلا- .

والرجاءُ المحمودُ لا يكونُ إلا لـمَنْ عمِلَ بطَاعةِ اللَّهِ ورجَا ثوابَها عندَ اللَّهِ، أو تابَ مِن معصِيتِهِ ورجَا قَبولَ تَوبتِهِ؛ فأمَّا الرجاءُ بلا عمَلٍ فهُو غُرورٌ وتَـمَنٍّ مَذمومٌ.

والفَرقُ بينَ الرجاءِ والتمنِّي: أن الرجاءَ يكونُ معَ بَذلِ الـجَهدِ وحُسنِ التوكُّلِ، والتمنِّي يكونُ معَ الكَسَلِ؛ فتجدُهُ يتمنَّىٰ عَلَىٰ اللَّه الأمانيَّ وهُو غَارقٌ في الـمَعصيةِ إلَى مَفرِقِ رَأسِهِ أو زيادَةٍ، وأمَّا الراجِي فإنهُ يأخذُ بالأسبابِ مُتوكِّلاً عَلىٰ رَبِّهِ -جلَّ وعَلا-، يُقلِعُ عَنِ الـمَعصيةِ فيبتعِدُ عنِ الذنْبِ ويأتي بشُــروطِ =

وَالتَّوَكُّلُ[١].

= التَّوبَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يقطَعُ رَجَاهُ فيمَنْ لَا يُقطَعُ منهُ الرَّجَاءُ؛ آمِلًا ورَاجِيًا أن يعفُوَ عَنِ الزَّلَّةِ، وأن يَـجبُرَ الكَسْرَةَ، وأن يُعينَ عَلىٰ الطَّاعةِ.

وأمَّا الرجَاءُ في الأمورِ العَاديَّةِ كأنْ ترجُوَ مِن شَخصٍ أن يُعطِيَكَ مالاً أو يساعِدَكَ فيمَا يقدرُ عليهِ؛ فهذَا لَيسَ منَ العبَادَةِ، ولكِنْ لا تَرجُ مَخلوقًا فيمَا لا يقدِرُ عليهِ إلا اللَّهُ؛ فالذِينَ يرجونَ الأموَاتَ والغَائبينَ والجنَّ والشياطِينَ؛ هذَا رَجاءُ العبادَةِ؛ فَلا يجوزُ أن يُصرَفَ هذَا لغيرِ اللَّهِ ومَن صَرَفَهُ جاءَ بالشِّركِ الأكبَرِ، نسألُ اللَّهَ السلامَةَ والعَافيةَ.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ -رَحِمهُ اللَّه تَعَالىٰ- النوعَ الثَّامنَ مِن أنواعِ العبادَةِ؛ فقَالَ: «**والتَّوكلُ**» وذكَرَ دَليلَهُ فقَالَ: «**ودَليلُ التَّوكُّلِ قَولُهُ تَعَالىٰ**: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]».

والتوكلُ عَلىٰ اللَّهِ سُبحانهُ: هوَ الاعتِمادُ عَليهِ سُبحانَهُ كفايةً وحَسْبًا في جَلْبِ المنافِعِ ودفعِ المضَارِّ، وهُو مِن تَـمامِ الإيمانِ وعَلاماتِهِ؛ قَال تعَالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وقولُهُ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، لا عَلىٰ غَيرِهِ؛ فقدَّمَ الجارَّ والمجرورَ وحقُّهُ التأخيرُ، وتقديمُ ما حقُّهُ التأخِيرُ أسلوبٌ مِن أسَاليبِ الاختصَاصِ والحصرِ والقَصرِ؛ توكَّلُوا عَليه وَحدَهُ لا عَلىٰ غيرِهِ.

حقيقَةُ التوكُّلِ: أن يَعتَمِدَ العَبدُ عَلىٰ اللَّهِ سُبحَانَهُ اعتِمادًا صَادِقًا في مَصَالِحِ دِينِهِ ودُنيَاهُ معَ فِعلِ الأسبَابِ المأذونِ فيهَا. =

= **فالتوكلُ**: اعتقادٌ، واعتمادٌ، وعملٌ.

وهُو أنواعٌ:

الأولُ: التوكُّلُ عَلىٰ اللَّهِ، وهُو مِن تمامِ الإيمَانِ وعَلاماتِ صِدْقِهِ، وهُو وَاجبٌ لا يَتمُّ الإيمانُ إلَّا بِهِ.

والثَّاني: تَوكلُ السِّرِّ: بأنْ يعتمِدَ عَلىٰ مَيتٍ في جَلْبِ مَنفَعَةٍ أو دَفْعِ مَضرَّةٍ وهذَا شِركٌ أكبرُ؛ لأنهُ لا يقعُ إلاَّ مِـمنْ يَعتقدُ أن لـهَذَا تصرُّفًا سِريًّا في الكونِ، فيُعطيهِ قَدرًا مِنَ الربُوبيَّةِ.

والثالثُ: التوكلُ عَلىٰ الغَيرِ فيمَا يتصرَّفُ فيهِ الغَيرُ معَ الشعورِ بعُلوِّ مرتبتهِ وانحطَاطِ مَرتبةِ المتوكِّل عَنهُ، مِثل: أن يعتمِدَ عَليهِ في حُصولِ الـمَعاشِ ونَحوهِ؛ فهَذَا نوعٌ منَ الشركِ الأصغرِ؛ لقوَّةِ تعلُّقِ القَلبِ بِهِ واعتمَادِهِ عَليهِ، وأمَّا اعتمادُهُ عَليهِ عَلىٰ أنهُ سَببٌ؛ وأنَّ اللَّهَ تعالىٰ هُوَ الذِي قدَّرَ ذَلكَ وأجرَاهُ عَلىٰ يَديهِ، فإنَّ ذلكَ لا بأسَ بهِ، إذَا كانَ لمن يَعتمِدُ عليهِ أثرٌ صَحيحٌ في حُصولِ ذَلكَ.

التوكلُ عبادةٌ لا تجوزُ إلا لله -جَلَّ وعَلا- وإلا عَلىٰ اللَّهِ ربِّ العَالمينَ، وأمَّا التَّوكيلُ فيمَا يقدرُ عَليهِ المخلوقُ فهوَ جائزٌ، والاعتمادُ عَلىٰ السببِ شِركٌ وتَركُ السببِ قَدحٌ فِي الشَّريعَةِ، والكَمالُ: أن تتوكَّلَ عَلىٰ اللَّهِ -جَلَّ وعَلا- وأنْ تأخذَ بِالأسبَابِ؛ حِينئذٍ تُـحقِّقُ التَّوحِيدَ، وتُـحقِّقُ الاتِّباعَ للنبيِّ ﷺ فَتأتي بالـحُسنَيينِ: بتَجريدِ التوحِيدِ للعَزيزِ المجيدِ، وتَـجريدِ المتابَعةِ للمَعصُومِ ﷺ.

وَالإِنَابَةُ[١].

---

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ الإمامُ -رَحمهُ اللَّه تَعَالىٰ- النوعَ التاسِعَ مِن أنواعِ العبادَةِ فقالَ: «والإِنَابَةُ» وذكَرَ دَليلَهَا فقَالَ: «ودَلِيلُ الإِنَابَةِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤]».

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، ارجِعُوا إليهِ بالطاعَةِ ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾، المرادُ بالإسلامِ هُنَا: الاستسلامُ وَالانقِيَادُ لأحكَامِ الشريعَةِ ظَاهرًا وبَاطِنًا؛ بِالرِّضَا بِذَلك بَاطنًا، وبتَسليمِ القلبِ باطِنًا، وبالتزَامِ الجوَارحِ بذَلكَ ظَاهِرًا، ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وَالإِنَابَةُ: الرجوعُ إلىٰ اللَّهِ تعَالىٰ بِالقيَامِ بطَاعتِهِ واجتِنَابِ مَعصِيَتِهِ، وهِي قَريبةٌ مِن مَعنَىٰ التوبَةِ؛ إلاَّ أنَّ الإنابَةَ أرَقُّ منَ التوبَةِ وألطَفُ؛ لِـمَا تُشعِرُ بهِ منَ الاعتِمادِ عَلىٰ اللَّهِ واللُّجُوءِ إليهِ والتوكُّلِ عَليهِ، ولا تَكُونُ الإنابَةُ إلا لله تعَالىٰ؛ فَالإنابةُ أعلَىٰ منَ التوبَةِ؛ لأنَّ التوبَةَ: إقلاعٌ وندَمٌ وعَزمٌ عَلىٰ ألا يعُودَ، والإنَابةُ: فيهَا المعَاني الثلاثةُ وتَزيدُ مَعنًىٰ آخرَ: وهُو الإقبَالُ علَىٰ اللَّهِ تعَالىٰ بِالعِبادَاتِ.

* والإِنَابَةُ قِسمانِ:

- إنابَةٌ لِربوبيَّتِهِ تعَالىٰ، وهذِه يَشتَرِكُ فيهَا جَمِيعُ الناسِ مِن بَرٍّ وفَاجِرٍ، ومِن مُؤمِنٍ وكَافرٍ؛ قال تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر:٨]، فهذا عَامٌّ في حقِّ كلِّ دَاعٍ أصابهُ ضُرٌّ، وهذهِ الإنابةُ لا تستلزِمُ الإسلامَ، بل تُـجامِعُ الشِّركَ والكُفرَ أحيَانًا.

=

وَالْـمَحَبَّةُ[١].

= - **وإنابةُ الألوهِيَّةِ:** وهيَ إنابةُ أوليَائِهِ وهِي إنابَةُ العُبودِيةِ وإنابةُ المحبةِ، وتتضمنُ أربعَةَ أمورٍ: مَـحبَّتَهُ، والخضوعَ لَهُ، والإقبالَ عَليهِ، والإعرَاضَ عمَّا سِواهُ.

فالـمُنيبُ إلىٰ اللَّهِ: الـمُسرِعُ إلىٰ مَرضَاتِهِ، الرَّاجِعُ إليهِ كلَّ وَقتٍ، الـمُتقدِّمُ إلىٰ مَـحَابِّهِ -جلَّ وعَلا-، اللهمَّ اجعَلنَا منَ الـمُنِيبينَ لألوهيَّتِكَ يَا ربَّ العَالَـمينَ.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ -رَحمهُ اللَّه تَعَالىٰ- النَّوعَ العَاشرَ مِن أنواعِ العِبادَةِ؛ فقَالَ: «**والمحَبَّةُ**» وذَكَرَ دَليلَهَا فقَالَ: «**ودَليلُ المحبَّةِ قولُهُ تعالىٰ:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]».

وَالمحبَّةُ قِسمانِ:

* **مَـحبَّةُ عِبادةٍ:** وهيَ التي يكونُ معَهَا ذلٌّ وخُضوعٌ للمَحبوبِ، وهذهِ لا تكونُ إلا لله -جلَّ وعَلا-.

* **المحبةُ الطَّبعِيَّةُ:** كَمَحبَّةِ المالِ، والزوجَةِ، والأولادِ، والوَالدَينِ، والدَّارِ، والسَّكنِ، والأرضِ، ومَن أحسنَ إليكَ؛ وهَذهِ لا تُعدُّ منَ العبَادَةِ؛ لأنهَا ليسَ معهَا ذلٌّ، وليسَ معهَا خضُوعٌ، ولَكن لا يُقدَّمُ شيءٌ مِن هذهِ الـمَحابِّ عَلىٰ محبةِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- ومحبةِ رسولِهِ ﷺ؛ قَالَ تعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ =

= كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

والْـمَحبَّةُ لَـهَا مَقامٌ عظِيمٌ في العبَادَةِ، وامتثالُ الأمرِ بكَمالِ الذلِّ لا يكُونُ عبادَةً إلا بكَمالِ المحبَّةِ، قالَ تعَالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السَّالكين» (٢/ ٥٨٨): «لَا تُـحَدُّ المحبَّةُ بِحَدٍّ أوضحَ منها، فالحدودُ لَا تزيدُهَا إلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً، فحدُّهَا وُجودُهَا، وَلَا تُوصَفُ المحبَّةُ بوصفٍ أظهرَ مِن المحبَّةِ، وإنَّما يتكلَّمُ النَّاس في أسبابِـهَا وموجِبَاتِـهَا وعلاماتِـهَا وشواهِدِهَا وثمراتِـهَا وأحكامِهَا، فحدودُهُم ورسومُهُم دارَتْ علىٰ هَذِهِ السِّتَّةِ، وتنوَّعَتْ بهمُ العِبَارَاتُ وَكَثُرَتِ الإشاراتُ بحسبِ إدراكِ الشخصِ ومقامِهِ وحالِهِ وملكِهِ للعبارةِ».

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٥٨٥)، وقد ذكر «منزلة المحبَّة»: «هي المنزلَةُ الَّتِي فيها تَنَافَسَ المتنافسون، وإليها شَخَصَ العاملون، وإلىٰ عَلَمِهَا شَمَّرَ السَّابقون، وعليها تَفَانَىٰ المحبُّون، وَبِرَوْحِ نسيمِهَا تروَّحَ العابدون، فهي قوتُ القلوبِ، وَغِذَاءُ الأرواحِ، وقُرَّةُ العُيون.

وهي الْـحَياةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فهو من جُـملةِ الأمواتِ، والنُّورُ الَّذِي مَنْ =

....

= فَقَدَهُ فهو فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، والشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بقلبِهِ جَميعُ الأَسْقَامِ، واللذَّةُ الَّتِي مَنْ لَم يَظْفَرْ بها فعيشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وآلامٌ.

وهي روحُ الإيمانِ والأعمالِ والمقاماتِ والأحوالِ الَّتِي مَتَىٰ خَلَتْ منها فهي كالجسدِ الَّذِي لَا رُوحَ فيه.

تَحملُ أثقالَ السائرينَ إِلَىٰ بلادٍ لَم يكونوا إلا بشِقِّ الأنفسِ بالِغِيهَا، وتُوصِلُهُم إِلَىٰ منازلَ لَم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وتُبَوِّئُهُم من مقاعدِ الصِّدقِ مقاماتٍ لَم يكونوا لولاها داخليها.

وهي مطايا القومِ الَّتِي مَسراهُم علىٰ ظهورِهَا دائِمًا إِلَىٰ الحبيبِ، وطريقُهُم الأقومُ الَّذِي يُبْلِغُهُم إِلَىٰ منازِلِهِم الأولَىٰ مِن قريب.

تاللَّهِ؛ لقد ذَهَبَ أهلُهَا بشرفِ الدُّنْيَا والآخرةِ؛ إذ لهم مِن مَعيَّةِ مَحبوبِهم أوفرُ نصيب.

وَقَد قَضَىٰ اللَّهُ يومَ قَدَّرَ مقاديرَ الْخَلائِقِ بمشيئتِهِ وحكمتِهِ البالغة: أنَّ المرءَ مَعَ مَن أَحَبَّ، فيا لَهَا مِن نِعْمَةٍ علىٰ المحبِّينَ سابغة.

تاللَّهِ؛ لَقَد سَبَقَ القَومُ السُّعَاةَ وهُمْ علىٰ ظهورِ الفُرُشِ نائمون، ولَقَد تَقَدَّمُوا الرَّكْبَ بمراحلَ وهم في سيرِهِم وَاقِفُون.

مَنْ لِي بِمثلِ سَيْرِكَ الْمُدَلَّلِ   تَمْشِي رُوَيْدًا وَتَجِي فِي الأَوَّلِ

وَلَمَّا كَثُرَ المدَّعُونَ للمحبَّةِ طُولبوا بإقامةِ البيِّنَةِ علىٰ صحَّةِ الدَّعْوَىٰ -فلو يُعْطَىٰ النَّاسُ بدعواهُم لادَّعَىٰ الْخَلِيُّ حُرْقَةَ الشَّجِيِّ-، فتَنَوَّعَ المدَّعُونَ في الشُّهُودِ. =

....

= **فقيل**: لَا تَثْبُتُ هَذِهِ الدَّعْوَىٰ إِلَّا ببيِّنَةٍ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]. فَتَأَخَّرَ الْـخَلْقُ كُلُّهُم، وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الْـحَبيبِ في أَفعالِهِ وَأَقوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ».

نَسأَلُ اللَّـهَ أَنْ يرزُقَنا حُبَّهُ وحُبَّ مَن يُـحبُّهُ وحُبَّ شيءٍ يُقرِّبُنا إلـىٰ حُبِّهِ؛ إنهُ عَلىٰ كلِّ شيءٍ قَديرٌ.



وَالْـخَشْيَةُ[١].

---

[١] ثُمَّ ذكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ النوعَ الـحَاديَ عشَرَ مِن أنواعِ العبَادَةِ وقَالَ: «الـخَشيَةُ»، وذكَرَ دليلَهَا فقَالَ: «ودَلِيلُ الـخَشيَةِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٤٤]».

والـخَشيَةُ: هيَ الخوفُ المبنيُّ عَلىٰ العِلمِ بعَظَمَةِ مَن يَـخشَاهُ، المبنيُّ عَلىٰ العِلمِ بكَمالِ سُلطانِهِ، وَالْـخَشيةُ أخصُّ منَ الْـخَوفِ.

ويتضحُ الفرقُ بيَن الخوفِ والخشيةِ بالمثَالِ؛ فإذَا خِفتَ مِن شَخصٍ لا تَدرِي هلْ هو قَادرٌ عليكَ أو لَا؟ فهَذَا خَوفٌ، وإذَا خِفتَ مِن شخصٍ تعلَمُ أنهُ قَادرٌ عليكَ فهذِهِ خَشيةٌ؛ فالـخشيةُ: خَوفٌ يشوبُهُ تَعظِيمٌ؛ وقَد قَالَ تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة:١٥٠]، فَلا تُقدِّمْ خَشيةَ المخلُوقِ عَلىٰ خَشيةِ الـخَالِقِ؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]، فَالـخَشيةُ مِن عبادَاتِ القَلبِ ويَنبغِي ألَّا تُصرَفَ إلَّا لله -جلَّ وعَلا- الْـخَشيةُ التِي هيَ خَوفٌ مَشُوبٌ بالتعظِيمِ، المبنيِّ علىٰ العِلمِ بأنَّ اللَّـهَ -جلَّ وعَلا- قادرٌ عليكَ وأنَّ نَاصيتَكَ بيدِهِ، وأنهُ يَفعَلُ مَا يشَاءُ وَيـحكُمُ بما يُريدُ؛ هذِهِ الـخَشيةُ ينبغِي ألَّا تُصرفَ إلَّا لله -جلَّ وعَلا-، وهِي مِن عِباداتِ القُلوبِ، ومِن أجَلِّ عبادَاتِ القُلوبِ.

عَلىٰ العَبدِ أنْ يعلَمَ مَطلوبَ رَبِّهِ ومُرادَهُ منهُ؛ ليحقِّقَ الغَرَضَ الذِي لأجلِهِ خَلقهُ؛ فإنَّ اللَّـهَ -جلَّ وعَلا- خلقَنَا لعبَادَتِـهِ، ولَـم يَـجعلْ هـذِهِ العِبَادَةَ لكلِّ =

....

= عابدٍ عَلىٰ مَا يهوَاهُ ويُريدُهُ؛ بَل جَعلَ العبادةَ تَوقِيفيَّةً؛ فَلا عبَادةَ إلا بنَصٍّ، العبادَةُ مَوقُوفةٌ عندَ حُدودِ النصِّ؛ قالَ اللَّهُ قالَ رسولُهُ ﷺ، وما سِوَىٰ ذَلكَ لا يكونُ عبادةً بحَالٍ.

فالـخَشيةُ عبَادةٌ مِن عبَادَاتِ القُلوبِ، وللقُلوبِ عبادَاتُها، كَمَا للسَانِ عبادتُهُ، كَما للجَوارِحِ عبَاداتُها، وعَلىٰ المسلمِ -الضَّنينِ بدِينهِ الشحيحِ بيقِينهِ- أنْ يكونَ عارِفًا ذَلِكَ، وأنْ يكونَ مُؤمنًا بهِ، وأنْ يكونَ عامِلاً بهِ، وأنْ يكونَ مخلِصًا فيهِ، حتَّىٰ يقبلَ اللَّهُ ربُّ العالَـمِينَ منهُ؛ فإنَّ العَمَلَ لا يُقبلُ عندَ اللَّـهِ حتَّىٰ يكونَ خَالصًا وحتَّىٰ يكونَ صَوابًا، والـخَالصُ: أنْ يكونَ للَّـه، والصَّوابُ: أن يكونَ عَلىٰ سُنةِ رَسولِ اللَّـهِ ﷺ.

وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ[١].

---

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ -رَحمهُ اللَّه تعَالىٰ- النوعَينِ الثاني عَشَرَ والثَّالثَ عَشَرَ مِن أنواعِ العبَادَةِ وذكَرَ دَليلَهُما، فقَالَ: «والرَّغبةُ والرَّهبةُ»، فهاتَانِ عبادَتانِ: «ودَلِيلُهُما قَولُهُ تعَالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]».

والرغبةُ: مَحبَّةُ الوصولِ إلىٰ الشيءِ المحبوبِ، والرغبةُ تتولَّدُ مِن الرَّجَاءِ، لكنَّه طمعٌ، وهيَ سلوكٌ وطلبٌ، والرغبةُ تكونُ إلىٰ اللَّهِ بالطمعِ فيمَا عندَهُ، والتعلقِ بِهِ سُبحانَهُ ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]، فمَنْ رَغبَ فيمَا عندَ اللَّهِ حمَلَهُ ذلكَ عَلىٰ طَاعةِ اللَّهِ وتَقديمِ رضا اللَّهِ تَعَالىٰ.

والرَّهبَةُ: الـخَوفُ المثمرُ للهَربِ منَ الـمَخُوفِ؛ فهِي خَوفٌ مَقرونٌ بعمَلٍ.

ومَعلومٌ أنَّ كلَّ مَن خافَ شَيئًا هربَ منهُ إلا اللَّه؛ فَإنَّ مَن خافَ منَ اللَّهِ هربَ إلَيهِ. ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [الذاريات:٥٠]، الذِي يخافُ مِن شَيءٍ يَفرُّ منهُ إلا اللَّه؛ مَن خافَ منَ اللَّهِ فرَّ إليهِ، وأمَّا الذِي لا يخافُ اللَّهَ ﷻ فإنهُ لا يفرُّ إليهِ، الذِي يخافُ اللَّهَ ﷻ يفزَعُ إلىٰ رَبِّهِ ويلتَجِئُ إليهِ ويفرُّ إلَيهِ.

وهَذَا واللهِ عَجيبٌ؛ لأنَّ اللَّهَ -جلَّ وعَلا- عَلىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وهُو أرحمُ الرَّاحمينَ، واللهُ ﷻ أرحَمُ بنَا مِن أمَّهاتنَا، ومن أنفُسِنا التِي بينَ جُنُوبِنا، واللهُ -جلَّ وعَلا- لا يَهلْكُ عليهِ إلا هَالكٌ؛ ففرُّوا إلىٰ اللَّهِ عبَادَ اللَّهِ.

الرَّهبةُ والرَّهْبُ: مَخافَةٌ معَ تَحرُّزٍ واضطرَابٍ؛ قالَ تعَالىٰ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، فيجبُ أنْ ترهَبَ اللَّهَ؛ لأنهُ قدَّمَ المعمُولَ فَجعلَ ذَلكَ =

وَالتَّأَلُّهُ[١].

= حَصرًا كَمَا تَرَىٰ فَلا يُرهَبُ سِواهُ.

الرهبَةُ عبَادةٌ فيجِبُ أن تَرهبَ اللَّهَ وتخافَ منَ اللَّهِ وتخشَىٰ اللَّهَ، ويجبُ ألا ترهَبَ المخلُوقينَ رَهبةً تجعلُهُم في مِثلِ رَهبتِكَ رَبَّكَ؛ فَلا تتركْ طاعَةَ اللَّهِ رَهبةً مِنَ الـمَخلُوقِينَ.

الرهبَةُ والرغبةُ عبادَتانِ يجبُ صرفُهما إلىٰ اللَّهِ رَبِّ العَالَـمينَ وَحدَهُ؛ حَرِّرهُما! تأمَّلْ فيهِما! اعمَلْ بهِما بعدَ أن تعتقدَهُما، وارهَبْ وارغَبْ، وعَلىٰ اللَّهِ تَوكَّلْ، وكُن لله خاشِعًا.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشَّيخُ الإمَامُ -رَحِمهُ اللَّهُ تعَالىٰ- النوعَ الرَّابعَ عَشَرَ وقَالَ: «والتَّألُّهُ»، ودَليلُهُ قولُهُ تعَالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

التَّألُّهُ: التَّعبُّدُ، ويُطلَقُ أحيَانًا ويُرادُ بِهِ المحبَّةُ، وهذَا حَقٌّ لله تعَالىٰ وَحدَهُ؛ فالألوهِيَّةُ حَقٌّ لله تَعَالىٰ؛ فَلا يجُوزُ أن يُتَّخَذَ مَعهُ إلَهٌ آخرُ يُؤلَّهُ ويُـحَبُّ ويُعبدُ معَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، وهذَا اعتدَاءٌ عَلىٰ حَقِّ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، فهذَا مُطلَقُ حقِّ اللَّهِ ربِّ العالَـمِينَ، ويَنبغِي ألا يُصرَفَ لِسوَاهُ؛ حَقُّ اللَّهِ عَلىٰ العِبَادِ: أن يعبُدوهُ وأن يوحِّدُوهُ وألَّا يُشرِكُوا بهِ شَيئًا، هذَا حقُّهُ، ويَنبغِي ألا يُعتدَىٰ عَلىٰ حقِّ اللَّهِ ربِّ العَالَـمِينَ.

المخلُوقُ إذَا اعتُدِيَ عَلىٰ حقهِ وكانَ حرًّا لا يقبلُ الضَّيمَ فإنهُ لا يَقرُّ لهُ قَرارٌ ولا يُغمَضُ لهُ جَفْنٌ حتَّىٰ يأخُذَ حقَّهُ، وَهَذَا في المخلُوقِ، والـخَالقُ العظيمُ البرُّ =

....

= الرحيمُ حقُّهُ أن يَعبدَهُ الْـخَـلْـقُ وحدَهُ، وألَّا يُشركوا به شيئًا، اللَّـهُ ربُّ العَالَـمِينَ حقُّهُ أن يُعبدَ وأن تُصرفَ جميعُ ألوانِ العبادةِ لوَجهِهِ الكَريم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]، يَعنِي: ألوهيَّتَهُ في السَّماءِ كَمَا ألوهيتُهُ في الأرضِ، يَألَـهُهُ الناسُ ويَعبُدونَهُ، ويذِلُّونَ لَهُ ويُـحبُّونَهُ، أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ عَلىٰ سَواءٍ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، كَمَا تقولُ: المَلِكُ أمرهُ في مكانِهِ وأمرهُ في سائرِ مَـملكَتِهِ.

وهُو مَلِكٌ في مَـحلِّهِ ومَلِكٌ في سائرِ محالِّ مملكَتهِ؛ اللَّـهُ ﷻ ألوهيتُهُ في السماءِ وألوهيتُهُ في الأرضِ؛ يَألَـهُهُ الناسُ؛ يَعبدُونَهُ.

«لَا إِلٰهَ إلَّا اللَّـهُ»؛ وهِي الكلمَةُ الطيبةُ التِي لأجلِهَا خَلقَ اللَّـهُ السمَواتِ والأرضَ، وخلقَ الجنةَ والنارَ، والتِي لأجلهَا أنزلَ الكتبَ وأرسلَ الرسلَ ونَبَّأَ الأنبياءَ.

«لَا إِلٰهَ إلا اللَّـهُ»؛ لأجلِها قامتِ الـحربُ بينَ جُندِ الرحمنِ وجُندِ الشيطَانِ.

«لَا إِلٰهَ إلَّا اللَّـهُ»؛ مِن أجلِهَا يُقيمُ اللَّـهُ السَّاعَةَ، وتُنصبُ الموازينُ، وتتطَايرُ الصحفُ، فآخذٌ بيمِينهِ مِن أمَامٍ، وآخذٌ بشمالِهِ مِن وَراءِ ظَهرِهِ، نسألُ اللَّـهَ السلامَةَ والعَافيةَ.

«لَا إِلٰهَ إلا اللَّـهُ»؛ عليهَا أُسِّسَتِ الـمِلَّةُ وبهَا بُعثَ جميعُ الرسلِ؛ فَما مِن رَسولٍ أرسَلهُ اللَّـهُ إلا وأمرَ قومَهُ بتَوحيدِ اللَّـهُ؛ بِصرفِ العبَادَةِ لوَجهِهِ الكَريمِ، =

وَالرُّكُوعُ، وَالسُّجُودُ [١].

= وهِي أولُ مَأمورٍ بِهِ وأعظَمُ أمرٍ أمَرَ اللَّهُ ربُّ العالَمِينَ بِهِ، وجَميعُ الرسُلِ جَاءُوا أقوَامَهُم يقُولُونَ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، فجميعُ الرسلِ بُعِثوا بالنَّفي والإثباتِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فهَذَا مَا جاءَ بِهِ جميعُ المرسَلينَ وبهِ جاءَ محمَّدٌ الأمينُ ﷺ؛ فالتألُّهُ والعبادَةُ حقُّهُ ينبغِي ألَّا يُصرفَ لِسواهُ.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الإمَامُ -رَحِمهُ اللَّه تَعَالَىٰ- النَّوعَينِ الخامِسَ عشَرَ والسادِسَ عشَرَ مِن أنواعِ العبادَةِ فقَالَ: «**والرُّكُوعُ والسُّجُودُ**» وذَكَرَ دَليلَهُما فقَالَ: «**ودَليلُ الركُوعِ والسُّجودِ قَولُهُ تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾** [الحج:٧٧]».

فأمرَ اللَّهُ ربُّ العَالمينَ بالركوعِ والسجودِ لهُ وحدَهُ؛ والركوعُ عبادةٌ لا تكونُ لغيرِ اللَّهِ؛ فلا يَركعُ أحدٌ لأحدٍ ولا يَنحنِي أحدٌ لأحَدٍ تعظيمًا؛ فالانحناءُ علىٰ وجهِ الذلِّ والتعظيمِ لِمَن انحنَىٰ لهُ ركوعٌ لغيرِ اللَّهِ، والسجودُ عبادةٌ لا تكونُ لغيرِ اللَّهِ، لا يُسجَدُ للصنَمِ، ولا يُسجَدُ للقبرِ، ولا يُسجدُ للضريحِ، ولا لأحدٍ منَ البشَرِ؛ وقَدْ أخرَجَ أحمدُ وابنُ أبِي شَيبةَ مِن حَدِيثِ مُعاذٍ ﷺ: عندمَا قَدِمَ المدينَةَ فأرَادَ أنْ يسجُدَ للنبيِّ ﷺ، وكانَ رَأىٰ الفُرسَ والرومَ يُعظِّمونَ مُلوكَهُم فيسجُدونَ لَـهم فمنَعهُ النبيُّ ﷺ، وقالَ: «**لَو كُنتُ آمرًا أحَدًا أن يسجُدَ لأحَدٍ لأمرتُ الْـمَـرأةَ أن تسجُدَ لزَوجِهَا لعِظَمِ حقِّهِ عَلَيهَا**»(١).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٧)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٠٥) من حديث معاذٍ ﷺ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٩٩٨).

وَالْـخُشُوعُ[١].

= فالسجودُ لا يكونُ لغيرِ اللَّهِ أبدًا، ولا لرسولِ اللَّهِ ﷺ فكيفَ بمَنْ دُونهُ؟! السجودُ لا يكونُ إلا للَّهِ، لا يُسجَدُ لصَنَمٍ، ولا يُسجَدُ لقَبرٍ ولا لِضَريحٍ، ولا لِوَليٍّ، ولَا لِنَبيٍّ؛ وإنَّما يُسجَدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ ويُركَعُ.

[١] ثُمَّ ذكَرَ الشيخُ الإمَامُ -رحمهُ اللَّه تَعَالَىٰ- النوعَ السابعَ عشَرَ مِن أنواعِ العبَادَةِ فقَالَ: «**وَالْـخُشوعُ**»، وذَكَرَ دَليلَهُ فقَالَ: «**ودَليلُ الْـخُشوعِ قَولُهُ تعَالَىٰ:** ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ﴾ [آل عمران:١٩٩]».

الخشُوعُ: قيامُ القلبِ بين يَدَي الرَّبِّ تعالىٰ بالخضوعِ والذِّلَّةِ والجمعيَّةِ عليه، ومِن علاماتِهِ: أنَّ العبدَ إِذَا خُولِفَ، أو رُدَّ عليه بالْـحَقِّ؛ استقبل ذلك بالقبولِ والانقيادِ.

والخشُوعُ: مَـحلُّهُ القلبُ، وثمرتُهُ علىٰ الجوارحِ فهي تُظهِرُهُ.

والخشُوعُ: الذُّلُّ والتطَامُنُ لعظَمَةِ اللَّـهِ؛ بحَيثُ يستسلِمُ لقضَائهِ الكَونيِّ ولقضَائِهِ الشرعِيِّ؛ لقضائِهِ الكونيِّ الذِي يجرِي عليهِ بما يؤلِـمُهُ أحيانًا، وبما يلائمُهُ أحيَانًا أخرَىٰ؛ فَلا يعترِضُ عَلىٰ القَدَرِ لَا ظَاهرًا ولا باطِنًا، لأنَّ الدِّينَ: هُو فعلُ المأمورِ، واجتنَابُ المحظُورِ، والصبرُ علىٰ المقدُورِ؛ هذَا هُو الدِّينُ، هذَا هَو ما جَاء بِهِ سيدُ المرسلِينَ: فِعلُ المأمورِ، واجتِنَابُ المحظُورِ، والصبرُ عَلىٰ المقدُورِ. =

= وهذَا المقدورُ كَمَا تَرىٰ يكونُ غيرَ مُوَاتٍ وَلَا مُلائمٍ أحيانًا؛ فيجبُ علىٰ العَبدِ أنْ يصبرَ عَلىٰ قَدَرِ اللَّهِ فِيهِ، وليعلَمَ أنَّ مَا قدَّرَهُ اللَّهُ عَليهِ مما لا يُلائِمُهُ لَيسَ مَقصُودًا لذَاتِهِ، يَعنِي: مَن قُدِّرَ عَليهِ الفَقرُ؛ لَـم يُقدَّر عَليهِ الفَقرُ لقَصدِ الفَقر غَايةً، ومَن قُدِّر عَليه المرضُ؛ لَـم يُقدَّرْ عَليه المرضُ لقصدِ المرضِ غايَةً، وإنما قُدِّر عَليهِ ذَلكَ لاستِخرَاجِ رَدِّ فِعلِهِ عَلىٰ قَدَرِ اللَّهِ فِيهِ.

أَلَـمْ تَرَ إلىٰ حَدِيثِ الصَّحيحَينِ عندمَا مرَّ النبيُّ ﷺ عَلىٰ امرَأةٍ عندَ قبرٍ تَبكِي. فقالَ: «**يَا أمةَ اللَّهِ اتقِي اللَّهَ واصبِرِي**»، فقالتْ: إليكَ عنِّي فإنكَ لَـم تُصَبْ بِمِثلِ مُصِيبَتِي، فَمَضَىٰ ﷺ ولَـم يَرُدَّ عَليهَا، فقِيلَ لـهَا: ويحكِ، هُو محمدٌ رسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقَامتْ تشتَدُّ فِي أَثرِهِ، فَلَمَّا ذهبَتْ إلَيهِ استأذَنَتْ عَليهِ فَلمْ تجِدْ عندَهُ بوَّابِينَ ولَـم يكُنْ جَبَّارًا فِي الأرضِ ﷺ فَلَمَّا دخَلتْ مأذونًا لها قَالتْ: يَا رسولَ اللَّهِ، لَـم أعرِفْكَ، قَال: «**إنَّما الصبرُ عندَ الصدمَةِ الأولَىٰ**»[(١)]. إذَنْ مَا يُقدَّرُ عَليكَ مما لَا يُلائمُكَ إنَّما هُوَ لاستِخرَاجِ رَدِّ فعلِكَ عَلىٰ قَدَرِ اللَّهِ فِيكَ؛ هَذَا هُوَ.

ولتَعلَمْ أنَّ العَبدَ إذَا مَا أُصيبَ بما يَكرهُ مما قُدِّرَ عَليهِ مما لا يُلائمُهُ وهُو جَارٍ عَلىٰ حِكمَةِ اللَّهِ العُليَا سُبحَانَهُ، العَبدُ إذَا مَا أُصِيبَ بشَيءٍ مِن ذَلكَ؛ فإنهُ ينبغِي عَليهِ أن يَصبرَ، والصبرُ: ألَّا يعترِضَ عَلىٰ القَدَرِ الذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ عَليهِ بالقَلبِ باطِنًا، وألَّا يعترِضَ عَليهِ باللسَانِ بالقَولِ ظَاهِرًا، وألَّا يَعترِضَ عَليهِ بالجوارِحِ =

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

....

= بفعلِ مَا يُغضِبُ الرَّبَّ -جلَّ وعَلا-؛ فإذَا مَا صَبرَ عَلىٰ مَا قدَّرَهُ اللَّـهُ عَليهِ فذَلكَ هُوَ المطلُوبُ.

وإذا قُدِّر عليهِ مَا يكرهُهُ مِما لا يلائمُهُ بحِكمَةِ اللَّهِ؛ فليَعْلَمْ أنهُ إنْ لَـم يَصبرْ صَبْرَ الكرَامِ فسَيصبرُ صَبْرَ اللِّئامِ وسَيسلُو سُلُوَّ البهَائمِ، ومَن لا يَصبرُ صَبرَ الكِرامِ سيسلُو سُلُوَّ البهائِمِ، فاللـهُمَّ غُفرًا يَا أرحمَ الرَّاحمينَ.

ذَكرَ الشيخُ الخشوعَ، يَستسلِمُ العبدُ لقضَاءِ الربِّ الكَونيِّ ولِقضائِهِ الشَّرعيِّ، ولَـم يُقدِّرْ ربُّنَا -تَبَاركَ وتَعَالَىٰ- عَلينَا إلا الخيرَ سُبحانه شَرعًا وكَونًا؛ ولِلَّـهِ الْـحَمدُ والـمِـنَّةُ.

الْـخُشوعُ: الانخفَاضُ وعدمُ الترفُّعُ، وهوَ نوعٌ من أنوَاعِ العبادَةِ، وهذهِ فيهَا الثنَاءُ؛ أي: في هذِهِ الآيَةِ التِي مرَّ ذِكرُهَا، فيهَا الثناءُ عَلىٰ مُؤمِني أهلِ الكتَابِ الذِينَ أسلَمُوا وهُم مُتَّصفُونَ بهذِهِ الصفَةِ ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾، بهذِهِ الصفَةِ قَد اتَّصفُوا فلا يَـخشعُونَ لغيرِهِ، سُبحانهُ، ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾، لا يخشعُونَ لِسواهُ.

وَالتَّذَلُّلُ، وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الإِلَـهِيَّةِ[١].

---

[١] ثُمَّ ذكر الشيخُ الإمامُ -رحمه الله تعالىٰ- النوعَ الثامنَ عَشَرَ والنوعَ التاسِعَ عَشَرَ مِن أنواعِ العبادةِ فَقَالَ: «**وَالتَّذَلُّلُ، وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الإِلَـهِيَّةِ**».

وَالتَّذَلُّلُ: التخشُّعُ، وإعطاءُ الذُّلِّ من النفسِ والْـجَوارحِ، والانقيادُ والْـخُضوعُ، قال تعالىٰ: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤]؛ أي: سُهِّلَتْ.

وقد مرَّ أنَّ العبادةَ هي غايةُ الْـحُبِّ مع غايةِ الذُّلِّ، وأنَّ العبادةَ تدور علىٰ هذين القطبين؛ وهما: كَمَالُ الْـحُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ.

قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعِــبادةُ الــرَّحْـمَنِ غَايــةُ حُــبِّــهِ ... مَــعْ ذُلِّ عَابِــدِهِ هُـمَــا قُطْــبَانِ

وعَلــيهِمَا فَلَــكُ العــبَادَةِ دَائِــرٌ ... مَــا دَارَ حتَّــىٰ قامــتِ القُطْــبَانِ

ومَــدَارُهُ بِالأَمْــرِ أمْــرِ رَسُــولِهِ ... لا بالْـهَــوَىٰ والــنَّفْسِ والــشَّيطَانِ

وَالتَّذَلُّلُ علامةُ امتلاءِ القلبِ بمعرفةِ الربِّ بأسمائِهِ وصفاتِهِ، فمَنْ عَرَفَ ربَّهُ بأسمائِهِ الحسنىٰ وصفاتِهِ المثلىٰ معرفةً صحيحةً خَضَعَ قلبُهُ وخَشَعَ كيانُهُ، وانقاد لفاطرِهِ بتعظيمِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيه.

ثُمَّ خَتَمَ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أنواعَ العبادةِ الَّتِي ذَكَرَهَا بقولِهِ: «**وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الإِلَـهِيَّةِ**».

=

....

= وَالتَّعْظِيمُ تابعٌ للمعرفةِ، فعلىٰ قَدْرِ المعرفةِ يكون تعظيمُ الرَّبِّ تعالىٰ في القلبِ، وأعرفُ النَّاسِ به أشَدُّهُم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللَّهُ مَنْ لـم يُعَظِّمْهُ حَقَّ عظمتِهِ، ولا عَرَفَهُ حَقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفَهُ حَقَّ صفتِهِ، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣].

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، ومُجَاهدٌ، والضَّحَّاكُ في تفسيرِهَا: «مَا لَكُم لَا تَخافون للَّهِ تعالىٰ عظمةً».

وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبَّةُ، فإذا خَلَا أحدُهما عن الآخرِ؛ فَسَدَتِ العبوديَّةُ، فَإِذَا اقترنَ بهذين الثَّنَاءُ علىٰ المحبوبِ المعظَّمِ، فذلكَ حقيقةُ الْحَمدِ.

وَالتَّعْظِيمُ: معرفةُ العظمةِ مَع التَّذلُّلِ لَـهَا.

وَلَا يَستَقِيمُ القَلْبُ إِلَّا بشيئين:

أَحَدُهُمَا: أن تَكُونَ مَحبَّةُ اللَّهِ تَعَالىٰ تَتَقدَّمُ عنده عَلَىٰ جَميعِ الْمَحَابِّ.

والثاني: تعظيمُ الأمرِ والنهي، وهو ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي، وأوَّلُ مراتبِ تعظيمِ الْحَقِّ عَجَّلَ : تعظيمُ أمرِهِ ونهيه.

وتعظيمُ المؤمنِ لأمرِ اللَّهِ تَعَالىٰ ونهيه دالٌّ عَلَىٰ تعظيمِهِ لصاحبِ الأمرِ والنهي، ويكونُ بحَسَبِ هَذَا التَّعظيم مِن الأبرَارِ المشهودِ لَهُم بالإيمانِ والتَّصْدِيقِ، وَصِحَّةِ العَقِيدةِ، والبَرَاءةِ مِن النِّفَاقِ الأكبرِ، فعبادةُ التَّعظيمِ مِن خصائصِ الإلَـهيَّةِ وصرفُهَا لغيرِ اللَّهِ شركٌ.

وَنَحْوُهَا[١]، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَـذِهِ الأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ أَشْـرَكَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ[٢].

فَإِنْ قِيلَ: فَمَـا أَجَلُّ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّـهُ بِهِ؟

قِيلَ: تَوْحِيدُهُ بِالعِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَـانُـهُ[٣].

---

[١] أي: ومثلُ هذه الأنواعِ الَّتِي ذَكَرَهَا مِن أنواعِ العبادةِ.

[٢] لأنَّهَا كلَّهَا مِن أنواعِ العبادَةِ، والعبادَةُ لا تكونُ إلا لله؛ فَمَن صَرفَ منهَا نوعًا لغَيرِ اللَّهِ فإنهُ يكونُ مُشركًا باللهِ في عبَادتهِ شِركًا أكبرَ، مَن عَبَدَ غيرَ اللَّهِ يكونُ مُشركًا لا يَغفِرُ لهُ اللَّهُ إنْ مَاتَ، لا يغفِرُهُ لهُ اللَّهُ إنْ ماتَ مِن غيرِ أن يتُوبَ منهُ، مَن ماتَ مُشركًا فَلا غُفرانَ، ولا يُغفرُ لهُ في الـحيَاةِ إلا بالتوبَةِ مِن الشِّركِ بشُروطِهَا.

كثيرٌ منَ الناسِ لا يعرفونَ ذَلكَ ويصرفونَ أنواعًا منَ العبادَةِ لغيرِ اللَّهِ، كثيرٌ منَ الناسِ يطلُبُ مِن غَيرِ اللَّهِ مَا لا يُطلَبُ إلا منَ اللَّهِ؛ يطلُبونَ ذَلكَ منَ الأموَاتِ، منَ الجنِّ، منَ الشَّياطِينِ، كثيرٌ منَ الناسِ يرجُونَ، ويخَافونَ، ويرهَبونَ، ويَرغبونَ، ويحبونَ عَلىٰ طَريقةٍ مخالِفةٍ لتوحِيدِ ربِّ العَالَـمينَ، وكلُّ ذَلكَ مِـمَّـا لَا ينبغِي صَرفُهُ إلَّا لله -جلَّ وعَلا-؛ فحرِّرْهُ، هَدَاني اللَّهُ وإيَّاكَ إلىٰ الصِّراطِ المستقيم.

[٣] فَأَجَلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوحيدُ، وهُوَ: إفرادُ اللَّهِ بالعبَادَةِ؛ فالتوحِيدُ أعظَمُ المأمُورَاتِ؛ التوحيدُ أعظَمُ منَ الصلاةِ، وأعظَمُ منَ الزكَاةِ، التوحِيدُ أعظَمُ مِن جَميعِ العِبادَاتِ، وهُوَ أولُ ما بَدَأَ بِهِ الرسُلُ في الدعوَةِ إلىٰ اللَّه، كانُوا =

....

= يَدعُونَ أولَ مَا يدعُونَ أقوامَهم إلىٰ التوحِيدِ، فالتَّوحيدُ يبدَأُ بِهِ الدَّاعِي إلىٰ اللَّـهِ، وهَذهِ طَريقَة المرسَلِينَ، كما في حَديثِ مُعاذٍ في الصَّحيحينِ: «**إنَّكَ تَأتِي قَومًا مِن أهلِ الكِتابِ فلْيَكُنْ أوَّلَ مَا تدعوهُم إلَيهِ أنْ يشهَدُوا أنْ لَا إلهَ إلا اللَّـهُ؛ فإنْ هُمْ أطَاعُوكَ لذَلكَ فأَعلِمْهُم أنَّ اللَّـهَ فَرضَ عَلَيهِمْ في اليَومِ واللَّـيلَةِ خَمسَ صَلواتٍ؛ فإنْ هُم أطَاعُوكَ لذَلكَ فأعلِمهُم أنَّ اللَّـهَ قَد فَرَضَ عَليهِمْ في أموَالِـهِم صدَقةً تُؤخَذُ مِن أغنِيَائِهمْ ثُمَّ تُرَدُّ عَلىٰ فُقرَائِهِم**»[1].

فانظُرْ كيفَ بدَأَ بِهَذا الأمرِ الكَبيرِ، الذِي لأجلِهِ خَلقَ اللَّـهُ الخلْقَ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، يعنِي: إلَّا لِيُوحِّدُوني بعبَادَتي، وصَرْفِ العبَادَةِ لِي وَحدِي.

ولذَلكَ عَلَّمَ النبيُّ ﷺ مُعاذًا ﷺ وهُو إمَامُ العُلماءِ يأتِي يَومَ القِيامَةِ أمامَ العُلماءِ برَتوَةٍ؛ أي: برميَةِ حَجَرٍ، علَّمَهُ كَيفَ يَبدَأُ في الدَّعوَةِ إلىٰ اللَّـهِ فقَالَ لَهُ: «**تَأتِي قَومًا مِن أهلِ الكتَابِ فليكُن أولَ مَا تدعُوهُم إلَيهِ أن يشهَدُوا أن لا إلَهَ إلَّا اللَّـهُ**».

فَيَا عَبْدَ اللَّـهِ، إذَا دَعوَتَ إلىٰ اللَّـهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، وإذَا كُنتَ لله دَاعيًا فَحَرِّرْ طَريقَ المرسلِينَ، واعلَمْ أنَّ التَّوحِيدَ لا يتحقَّقُ إلا بِالنَّفي والإثبَاتِ.

التَّوحِيدُ: إفرَادُ اللَّـهِ ﷻ بِالعبَادَةِ. =

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

= وهُوَ ثلاثةُ أقسَامٍ: تَوحيدُ الربوبيَّةِ، وتَوحيدُ الألوهِيَّةِ، وتَوحِيدُ الأسماءِ والصفَاتِ.

تَوحِيدُ الرُّبوبيَّةِ: هُوَ إفرَادُ اللَّهِ ﷻ بالـخَلقِ والـمُلكِ والتدبيرِ.

وتَوحيدُ الألوهِيَّةِ: إفرَادُ اللَّهِ سُبحَانَهُ بالعبَادَةِ؛ بألَّا يَتخِذَ الإنسَانُ معَ اللَّهِ أحدًا يَعبدُهُ ويَتقرَّبُ إليهِ كمَا يُعبدُ اللَّهُ تعَالىٰ ويُتقرَّبُ إلَيهِ.

وتَوحِيدُ الأسماءِ والصفَاتِ: إفرادُ اللَّهِ سُبحَانهُ بمَا سَمَّىٰ بِهِ ووَصَفَ بهِ نَفسَهُ في كتَابهِ أو عَلىٰ لسَانِ رسولِهِ ﷺ، وذَلكَ بإثبَاتِ ما أثبتَهُ ونَفي مَا نفَاهُ مِن غَيرِ تَـحرِيفٍ وَلا تَعطِيلٍ ومِن غَيرِ تَكييفٍ ولا تَـمثِيلٍ؛ وهِيَ طَرِيقَةُ أهلِ السُّنَّةِ؛ يُـجرُونَ النصُوصَ عَلىٰ ظَاهرِهَا اللائِقِ بهَا؛ نَعَم، عَلىٰ ظَاهِرِهَا الذِي يَفهَمُهُ الذِّهنُ السلِيمُ، كمَا فَهمَ ذَلكَ النبيُّ الكريمُ ﷺ، وفهِمَ ذَلكَ أصحَابُهُ -رِضوانُ اللَّهِ عَليهِم-، فَلَمْ يَستشكِلُوا وهُم أصحَابُ السلِيقَةِ اللُّغَويةِ ظَاهرَ النصوصِ، بل فهموا ظَاهرَ النصوصِ فَهمًا يلِيقُ باللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

وهَذهِ قاعدَةٌ في أدِلَّةِ الأسماءِ والصفَاتِ، نَعَم، مرَّ عَليهِم نُصوصُ الصفَاتِ في الكتَابِ والسُّنَّةِ ولَـم يَستشكِلُوا مِن ذَلكَ شَيئًا، مرَّ عَلَيهِم في سَبعَةِ مَوَاضِعَ في القُرآنِ العَظيم أنَّ اللَّهَ استَوَىٰ عَلىٰ عَرشِهِ، ومِن ذَلكَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فَلَمْ يقُولُوا للنَّبيِّ ﷺ: كيفَ استوَىٰ؟ ولَـمْ يَستشكِلُوا ذَلكَ، وهُم أصحَابُ السَّلِيقَةِ؛ لأنَّهم يعلَمُونَ أنَّ الصِّفَةَ تكونُ عَلىٰ قَدرِ الذَّاتِ، الصِّفَاتُ عَلىٰ قَدرِ الذَّوَاتِ، وذَاتُ ربِّنَا لَيسَ كَمثلِهَا ذَاتٌ؛ فصِفاتُ ربِّنَا لَيسَ =

= كمِثلِهَا صِفاتٌ، فأثبَتُوا لله مَا أثبتَهُ لنَفسِهِ، وعَلِمُوا أنَّ ظَاهِرَ ذَلكَ مُرادٌ فَفهِمُوهُ؛ فَفهِمُوا المعنَىٰ وفوَّضُوا الكيفيَّةَ.

وَليسَ كَمَا يقُولُ المبتدِعَةُ: إنَّ أهلَ السُّنَّةِ مُفوِّضَةٌ!! بمعنَىٰ أنَّهم يقُولُونَ: لا نفهَمُ المعنَىٰ الظاهِرَ المكشُوف وأنَّنَا نُفوِّضُ المعنَىٰ والكَيفيَّةَ جُملةً إلَىٰ اللَّهِ، وأنَّ نُصوصَ الصفَاتِ لا معنَىٰ لَـها، فيتَّهِمُونَ النبيَّ ﷺ بأنَّ اللَّهَ قَد كلَّمهُ بمَا لَـم يَفْهَمْهُ، ويتَّهِمُونَ الصحابَةَ بأنَّهم لَـمْ يفهَمُوا كَلامَ اللَّهِ ولا كَلامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في أعظَمِ بَابٍ مِن أبوَابِ التوحِيدِ، في أعظَمِ بابٍ مِن أبوَابِ الدِّيانَةِ، وهُو مَا يتعلَّقُ بصِفَات ربِّنَا -جَلَّ وعَلَا-.

وقَدْ أخبَرَنَا اللَّهُ ربُّ العَالَـمينَ أنَّ هذَا العِلمَ لأجلِهِ خَلقَ اللَّهُ ربُّ العَالِـمينَ السموَاتِ السَّبْعَ والأرَضِينَ السَّبْعَ، وأنزَلَ الأمرَ بينهُنَّ قَدَرًا وشَرعًا، فبيَّنَ لنَا ربُّنَا -تَبَارك وتَعَالَىٰ- الغايَةَ لهذَا الخلقِ ولهذَا التدبيرِ، فقَالَ -جلَّ وعَلا-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]، قَدَرًا وشَرعًا؛ فخَلقَ سَبعَ سَمواتٍ، وجعَلَ الأرضَ مثلَ ذَلكَ عدَدًا لا كيفيَّةً وهَيئةً، وجعَلَ الأمرَ مُتنزَّلًا بينَ السَّمواتِ والأرضِ، جعَلَ الأمرَ القَدَريَّ والأمرَ الشَّرعيَّ مُتنزَّلًا بينَ السَّمواتِ والأرضِ، لِـمَـاذَا؟

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾، فخَلقَ السمواتِ السبعَ والأرَضينَ السبعَ وجعلَ الأمرَ القدرِيَّ والشرعيَّ مُتنزَّلاً بينهنَّ؛ كلُّ ذلكَ جعلَهُ ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾. =

= ليسَ كمَا يزعُمُ المبتدِعةُ والذِينَ يُميِّعونَ الديَانَةَ مِن أنَّ أَهْلَ السُّنَّة يُنفقُونَ الأوقَاتَ في مَعرفَةِ الأسماءِ والصفَاتِ ويُضيِّعونَ الأعمَارَ في هذِهِ الأبوَابِ، أَلَا شَاهتْ الوُجُوهُ، بل لأَجْلِ ذَلِكَ خلَقَ اللَّهُ السمواتِ والأرضَ، وجعلَ الأمرَ مُتنزَّلًا قدَرًا وشَرعًا بينهنَّ، وجعلَ الأمرَ عَلىٰ التعلِيلِ ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾.

توحِيدُ الأسماءِ والصفَاتِ: إفرادُ اللَّهِ ﷻ فيمَا سمَّىٰ بِهِ نفسَهُ، ووصَفَ بِهِ نفسَهُ في كتابِهِ، أوْ عَلىٰ لسَانِ رسُولِهِ ﷺ، وذَلكَ بإثبَاتِ مَا أثبتَهُ، ونَفي ما نفَاهُ مِن غَيرِ تَـحريفٍ ولا تعطِيلٍ، ومِن غَيرِ تَكييفٍ ولا تَـمثِيلٍ؛ كمَا قرَّرَ ذَلكَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «الوَاسطيَّةِ» وغيرِهَا، وقرَّرَهُ قبلَهُ عُلماؤنَا في كُتبِ السُّنَّةِ المحرَّرَةِ -رَحمة اللَّهِ عَليهِم أجمعِينَ-.

ولتعلَمْ أن الـخُصومَةَ إنَّما وقعَتْ بينَ النبيِّ ﷺ وقومِهِ في تَوحِيدِ الألوهيَّةِ لا في تَوحِيدِ الربوبيَّةِ، كمَا يدَّعِي ذَلكَ أقوامٌ يكتَفُونَ عندَ عَرضِ التوحِيدِ عَلىٰ الناسِ بإثبَاتِ أنَّ الربَّ -جلَّ وعَلا- هُو الذي خَلقَ السمَواتِ والأرضَ، وخَلقَ الخلقَ، يتتبعُون ذَلكَ تتبُّعًا.

والمشركُونَ عَلىٰ عَهدِ النبيِّ المأمُونِ ﷺ لَـم يُنازِعوا في ذَلكَ، بلْ كَانُوا يُقرُّونَ أنَّ اللَّـهَ هوَ الذِي خَلقَ السَّمواتِ والأرضَ، وهوَ الذِي خلقَهُم، وهوَ الذِي خلَقَ آلهتَهُمُ التِي يعبُدُونَها ويشركونَها معَ اللَّهِ رَبِّ العَالَـمِينَ. =

وَأَعْظَمُ نَهْيٍ نَهَىٰ اللَّهَ عَنْهُ: الشِّرْكُ بِهِ، وَهُوَ: أَنْ يَدْعُوَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ[١].

= هؤلاءِ أخبرَ القرآنُ العظيمُ أنَّ النبيَّ ﷺ لَو سَألَـهُم لأجَابُوا بأنَّهم خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ رَبِّ العَالَـمِينَ خَالِـقِ السمواتِ والأرضِ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

فتَحريرُ مَوطنِ النِّزاعِ بينَ النبيِّ ﷺ وقومِهِ مُهمٌّ جدًّا، مَوطنُ النزاعِ بينَ النبيِّ ﷺ وقومِهِ، وبينَ الأنبياءِ وأقوَامِهِم: في صَرفِ العبادَةِ لله رَبِّ العَالمينَ وحدَهُ، إلَـىٰ هذَا دعَا الأنبياءُ، وأما أقوامُهُم فأبَىٰ المعانِدونَ منهُم إلا أنْ يَصرِفُوا العبادَةَ كلَّهَا أو ألوَانًا منهَا لغيرِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، هذَا هُوَ الذِي وقَعتْ فيهِ الخصومَةُ؛ فحرِّرْهُ، هدَاني وإيَّاك ربُّ العالَـمِينَ.

[١] أعظَمُ مَا نَهَىٰ اللَّهُ عنهُ: الشِّركُ، أعظَمُ مَنهيٍّ عَنهُ الشِّركُ؛ الشِّركُ أعظَمُ منَ الزِّنَا، والشِّركُ أعظَمُ مِن شُربِ الـخمرِ، والشِّركُ أعظَمُ مِن قَتلِ النَّفسِ التِي حَرَّمَ اللَّهُ قتلَهَا إلا بالـحَقِّ، الشِّركُ أعظَمُ ذَنبٍ عُصِـيَ بِهِ اللَّهُ -جَلَّ وعَلا-.

الشِّـركُ هُـو أعظَـمُ مَا نَـهَـىٰ اللَّهُ عنهُ؛ وذَلكَ لأنهُ اعتدَاءٌ عَلَىٰ حقِّ الربِّ -جلَّ وعَلا- لأنَّ اللَّهَ رَبَّ العَالـمِينَ حقُّهُ أنْ يُعبدَ وألا يُشرَكَ بِهِ سُبحَانَهُ؛ فإذَا فرَّطَ الإنسانُ في ذَلكَ فرَّطَ في أعظَمِ حُقوقِ اللَّهِ ربِّ العَالَـمِينَ، وهُو تَوحيدُ اللَّهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، قَال ربُّنَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]. =

= وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، إلَىٰ آياتٍ كَثيرةٍ فِي كتَابِهِ -جلَّ وعَلا- تُبيِّنُ خطورَةَ هذَا الأمرِ الكَبيرِ.

قالَ النَّبيُّ ﷺ كمَا في حَديثِ الصَّحيحَينِ: «**أعظَمُ الذَّنبِ: أن تَـجعَلَ لله نِدًّا وهُوَ خَلقَكَ**»[1].

وإِي واللهِ! إنَّ العَبدَ لا يَقبلُ لنَفسِهِ مِن خَادِمِهِ أنْ يُؤتَىٰ خَيرَهُ ويَـخدُمَ غَيرَهُ، ولا يَرضَىٰ لنَفسِهِ مِن مَـملُوكِهِ أنْ يأكُلَ خَيرَهُ ويَـخدُمَ غَيرهُ، ولَـم يَرزقْهُ، ولَـم يَكسُه، ولَـمْ يُطعِمْهُ، ولَـم يَـخلُقهُ، ومَع ذَلكَ هُو لا يَرضَىٰ لِنَفْسِهِ مِن مَـملُوكِهِ وَلا مِن خَادِمِهِ هذَا، ويَرضَىٰ لرَبِّهِ مِن نَفسِهِ هذَا، هذَهِ واللَّهِ قِسمَةٌ ضِيزَىٰ، هَذهِ قسمَةٌ جَائِرةٌ؛ إذْ يَرضَىٰ العبدُ لربِّهِ مِن نَفسِهِ مَا لا يَرضَاهُ لنَفسِهِ مِن خَادِمِهِ وعَبدِهِ أوْ مملُوكِهِ؛ فهذَا واللَّهِ هُوَ الظُّلمُ الـمُبينُ.

يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**أعظَمُ الذَّنبِ أنْ تَـجعَلَ لـلَّـهِ ندًّا وهُوَ خَلَقَكَ**»، **والشِّركُ نَوعَانِ:**

أَكبَرُ: وهُوَ كُلُّ شِركٍ أطلَقَهُ الشَّارِعُ وكانَ مُتضمِّنًا لـخُروجِ الإنسَانِ مِن دِينِهِ؛ عِياذًا باللهِ ولِياذًا بجَنَابِهِ الرَّحِيمِ.

وأصغَرُ: وهُوَ كُلُّ عَمَلٍ قوليٍّ أو فِعليٍّ أطلَقَ عَليهِ الشَّارِعُ وصْفَ الشِّركِ، ولكنَّهُ لا يُـخرِجُ مِن الـمِلَّةِ. =

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَـهًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِن أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْكَرَهُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ[١]. وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢] [المائدة:٧٢].

= وعلىٰ الإنسَانِ أنْ يحذَرَ هذَا وهذَا غايَةَ الحَذَرِ؛ نَسألُ اللَّهَ أنْ يُعيذَنَا منهُمَا مَعًا، وأنْ يُزيِّنَنَا بالتَّوحيدِ ظاهِرًا وباطِنًا إنهُ علىٰ كُلِّ شيءٍ قَديرٌ.

[١] فمَنْ صرَفَ شيئًا مِن أنواعِ العبَادَةِ لغَيرِ اللَّهِ فقَدِ اتَّخذَهُ مَعبُودًا وإلَـهًا، سَواءٌ كانَ مِنَ الأموَاتِ أَوِ الغائِبينَ أو مِنَ الأحيَاءِ الحَاضِرينَ؛ فالعبادَةُ لا تصِحُّ إلا لله رَبِّ العالَمينَ، قَالَ تعَالىٰ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ [الزمر:٦٦]، أي: لا تعبدْ غَيرَهُ؛ لأَنَّهُ لا إلهَ غيرُهُ سُبحَانَهُ.

والنِّزَاعُ بينَ النبيِّ ﷺ وقومِهِ كانَ في تَوحيدِ الألوهيَّةِ في صَرفِ العبادَةِ لغَيرِ اللَّهِ ربِّ العالَمينَ، يأمرُهُم النبيُّ ﷺ بصَرفِ العبادَةِ كلِّهَا ظاهِرِهَا وبَاطِنِهَا، دِقِّها وجَلِيلِهَا لله ربِّ العَالَمِينَ وحدَهُ، وهُم يأبونَ -إلَّا مَن رَحمَ اللَّه ربُّ العَالمينَ- إلَّا أن يَصرِفُوا ألوَانًا مِنهَا لغيرِ اللَّهِ رَبِّ العَالمِينَ؛ لآلِـهَتِهِمُ التِي كانُوا يعبُدونَهَا مِن دُونِ اللَّهِ ربِّ العَالمِينَ، أو يعبدُونَهَا معَ اللَّهِ ربِّ العَالمِينَ.

[٢] فهذَا في حَقِّ مَن ماتَ غيرَ تائبٍ مِن شِركِهِ، وأمَّا مَن تَابَ مِنَ الشِّركِ =

= ومِنَ الكُفرِ قبلَ الْـمَـوتِ، وحَسُنَ إسلامُهُ فإنَّ اللَّـهَ ربَّ العالَـمينَ يتوبُ عَلىٰ مَن تَابَ.

وقَد رغَّبَ اللَّـهُ ربُّ العَالَـمينَ الناسَ فِي التوبَةِ مِن ذُنوبِهِم ولَو كَانَت كُفرًا وشِركًا، فَمَن تابَ مِن كُفرِهِ وشِركِهِ تَابَ اللَّـهُ عَليهِ، قالَ تعَالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذِهِ في حَقِّ مَن تَابَ.

مَن ماتَ مُشركًا باللَّـهِ لا يَغفِرُ اللَّـهُ لهُ ذَنبَهُ، وأمَّا مَن مَاتَ غَيرَ مُشرِكٍ باللَّـهِ وأتَىٰ بالذُّنُوبِ دُونَ الشِّركِ؛ فهُوَ في الـمَشيئَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، هذِهِ في حَقِّ مَن ماتَ غيرَ تائِبٍ مِن شِركِهِ.

فَلا تَضربِ القُرآنَ بعضَهُ ببَعضٍ، ومَن أتَىٰ بذَلكَ أمَامهُ فادفَعْ في وَجهِهِ بالـحُجَّةِ، أو فادفَعْ في قفَاهُ إن شِئتَ وقَد أحسنتَ، ادفَعْ في قفَاهُ، وقُل لَهُ: إنَّ الـجِهةَ مُنفكَّةٌ؛ لأنَّهم يأتُونَ بأمثالِ هذِهِ الآياتِ ولَـمْ يَفهَمُوهَا.

القُرآنُ عَربِيٌّ؛ نزَلَ بقَانونِ العَربيَّةِ فنَزَلَ قُرآنًا عَربيًّا مُبينًا، ولا يُفهمُ إلا بالعَربيَّةِ التِي أنزَلَ اللَّـهُ بهَا قُرآنَهُ، ونطَقَ بهَا النبيُّ بيانَهُ ﷺ؛ وعلَيهِ فَينبغِي عَلىٰ كُلِّ سَلَفيٍّ صَحيحٍ فِي انتِمائِهِ أنْ يكونَ لهُ فِي اللغَةِ مُشارَكَةٌ؛ نَعَم؛ لأنَّهُ لَنْ تَصِحَّ لهُ دِيانَتُهُ عَلىٰ الوَجهِ الصَّحِيحِ حتَّىٰ يفهَمَ كلامَ اللَّـهِ وكلامَ رسُولِ اللَّـهِ ﷺ، وذَلكَ لا يكونُ إلا بِفَهْمِ اللغَةِ التِي نزَلَ بهَا الكِتَابُ، ونَطَقَ بهَا النبيُّ ﷺ. =

= ولذَلكَ قالَ ابنُ هُبَيْرَةَ، وقَدِ استَشكَلَ ذَلكَ فِي مَـجلِسِهِ بعضُ أهلِ العِلمِ قالَ: مَنْ سَاوَاكَ فِي الدِّيانَةِ وزَادَ عَليكَ فِي اللُّغَةِ ارتفعَ عَليكَ فِي الـجَنَّةِ إنْ دخَلتُما الجنةَ مَنزِلةً، ارتَفَعَ عليكَ مَنزِلَةً فِي الجَنَّةِ، فقالَ مَنِ استشكَلَ مِـمَّنْ حضَرَ مِن أهلِ العِلمِ: كيفَ ذَلكَ؟

قالَ: إنهُ مَن سَاواكَ فِي التقوَىٰ والعَملِ وزَادَ عَليكَ فِي اللغَةِ فقَد زادَ عَليكَ فِي الفَهْمِ ومَعرفَةِ مُرادِ رَبِّنا -تبَاركَ وتَعَالَىٰ- مِن كتَابِهِ، ومعرفةِ مُرادِ نبيِّناﷺ مِن سُنَّتِهِ، وهِيَ الوَحيُ الثاني، كَما قالَ الشافعِيُّ الإمَامُ -رَحمةُ اللَّهِ عَليهِ- : «نأخُذُ كتابَ اللَّهِ عَلىٰ مُرادِ اللَّهِ، ونأخُذُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ عَلىٰ مُرادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَهَذَا أَحَدُ الاعتبارَاتِ التِي نُرجِعُ فيهَا هذَا الأمرَ العَظيمَ إلىٰ سَلفِنا الصَّالِـحِينَ مِنَ الصحَابَةِ ومَن تَبعَهُم بإحسَانٍ؛ أنَّهم كانُوا أصحَابَ السَّلِيقَةِ اللُّغويَّةِ، وهُمُ الذِينَ يَعرفُونَ مُرَادَ اللَّهِ مِن كَلامِهِ، ويعرِفُونَ مُرادَ النبيِّ ﷺ مِن بَيَانِهِ ﷺ.

اللَّهُ ربُّ العَالَـمِينَ أنزلَ كتَابَهُ قُرآنًا عَربيًّا مُبينًا؛ فمَن أتَىٰ بالآيَاتِ البينَاتِ يستَشكِلُ عَليكَ فادفَعْ بالـحُجَّةِ فِي قفَاهُ ولا كَرَامَةَ؛ فيقولُ لكَ: إنَّ اللَّهَ يقُولُ فِي القُرآنِ العَظِيمِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ فأخبَرَ أنهُ يَغفرُ الذنوبَ كُلَّهَا، ثُمَّ يقُولُ فِي آيةٍ أُخرَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فقُلْ لَهُ: تَـحسَبُ كُلَّ آيةٍ ككُلِّ آيةٍ؟ فإنْ قَالَ لكَ: نَعَم، فقُلْ لهُ: الـجِهةُ مُنفكَّةٌ، فأمَّا هذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ =

وَاللَّه أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ[١].

= ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾، هذِهِ فِي حَقِّ مَن تابَ وحسُنتْ توبتُهُ وجاءَ بها مُستوفِيةً شرُوطَهَا. فهذَا يتُوبُ اللَّهُ عليهِ، بَلْ إنْ أحسنَ وعَمِلَ عمَلًا صالِحًا؛ بدَّل اللَّهُ سيئاتِهِ حَسناتٍ، فهذِهِ فِي هَذِهِ فتعقَّلْ.

وأمَّا الأخرَىٰ ففِي حقِّ مَن ماتَ مُذنبًا بدُونِ الشركِ، أو بما هُو دونَ الشركِ؛ فَمَنْ مَاتَ غيرَ تائبٍ إنْ كانَ مُشركًا، لا يُغفرُ لهُ؛ لأنهُ ماتَ غيرَ تائبٍ مِن شِركهِ فَلا يُغفرُ لهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، فهذِهِ فِي حقِّ مَن ماتَ غيرَ تائبٍ، يعنِي مِن شِركِهِ.

وأَمَّا مَنْ مَاتَ غَيرَ تائبٍ مِن مَعصِيتِهِ فِيما هُو دونَ الشِّركِ، فَهُو فِي المشيئَةِ إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وإنْ شاءَ غَفرَ لَهُ.

فتأملْ فِي كَلامِ سَلفِنا الصالِحينَ؛ فواللَّهِ إنهُ لأغلىٰ وأثمنُ مِن شَذَراتِ البِلاتِينِ، أيُّ بلاتِينٍ هذَا؟! هَذا كلامُ سَلفِنَا الصَّالِحينَ، عَليهمُ الرَّحمةُ؛ فاعرِفهُ، وأقبِلْ عَليهِ؛ تزدَدْ هُدًى ويُنيرُ اللَّهُ قلبَكَ، ويُفسِحُ اللَّهُ ربُّ العالَمينَ فِي أُفُقِ عَقلِكَ، حتَّىٰ تفقهَ عَن رَبِّكَ، وتَعقِلَ عَن نَبيِّكَ ﷺ.

الشِّركُ أكبرُ الذنُوبِ وأعظَمُ الذنُوبِ.

[١] فَختَمَ الرسَالةَ بأنْ أرجَعَ العِلمَ إلىٰ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- وحدَهُ، وصَلَّىٰ =

....

= وسَلَّمَ عَلىٰ النَّبِيِّ وآلِهِ وصَحبِهِ، صَلىٰ اللَّهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ أجمَعِينَ.

وهذَا مَا مَنَّ اللَّهُ ربُّ العَالَـمِينَ بِهِ بحَولِهِ وقُوَّتِهِ في هذَا الشَّرحِ الوَجِيزِ عَلىٰ هَذِهِ الرِّسالَةِ العظِيمَةِ، وهذَا المتنِ الجليلِ مِن كَلامِ هذَا الـحَبرِ النَّبيلِ شَيخِ الإسلامِ الإمَامِ، وهِيَ الرسَالَةُ التي سَمَّاهَا: «الـجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّـهِ وَحْدَهُ».

نَسألُ اللَّـهَ جَلَّت قُدرتُهُ وتقَدَّسَتْ أسمَاؤهُ، أنْ يَنفعَنَا بِما علَّمَنَا، وأن يُعلِّمَنَا مَا ينفَعُنَا، وأنْ يزيدَنَا عِلمًا.

وَصَلىٰ اللَّهُ وسَلَّمَ وبارَكَ عَلىٰ نَبيِّهِ محمَّدٍ وعَلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ صَلاةً وسَلامًا دَائِمَينِ إلىٰ يَومِ الدِّينِ.





فهرس الموضوعات